20 me. année No 993

Le Caire 6 — 14 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٧١ — ١٤ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

إلى النائمين فى العالم الاسلامى

للأستاذ سيد قطب

نحن فى مصر مشغولون لا نفيق ؛ ليس لدينا وقت للتفكير فيما يدبره لنا اليهود بمعاونة العالم الصليبى . نحن مشغولون بالانقلابات الوزارية ، مشغولون كذلك بالانتخابات : هل تكون بالقائمة أم بالوزن أم بالكيل ؟ مشغولون بحكاية الاستثناءات ، هل ترد لأصحابها أم لا ترد ؟ ومن منهم ترد إليه استثناءاته ويزاد ، ومن منهم يؤخذ منه ما معه . .

وهى أمور — كما ترى — من الأهمية بحيث لا تترك وقتا ولا جهدا للتفكير فى أى شئ آخر

وفى هذا الوقت تقترب إسرائيل يوما بعد يوم من حدود سينا المصرية ، المصرية اسما وإن كانت مصر لا تعرف عنها شيئا ، لأن السياسة اليهودية الإنجليزية عزلتها عن مصر طوال فترة الاحتلال ، ولم يكن هذا العزل شيئا عارضا ولا أمرا غير مقصود ، إنما كان وفقا لسياسة بعيدة الغور ، تتفق مع أطماع اليهودية العالمية

إن شبه جزيرة سينا يشتمل على أقدس مقدسات اليهود . فن جانب الطور الأيمن نودى موسى ، وعليه تلقى الألواح ، وبه صخرة المهد . وسينا هى أرض التيه . . لذلك كله ترف حول سينا أطماع اليهود التاريخية ، ويربى أبناؤهم على عقيدة أن جزيرة سينا هى قلب مملكتهم الموعودة ، وما فلسطين إلا جزءا صغيرا من تلك المملكة التى تضم سينا وفلسطين وشرق الأردن وقسما من سورية والعراق حتى الرافدين

وعلى هذا الأساس هم يعملون منذ أجيال ، وفى سنة ١٩٠٦ وفدت على مصر لجنة إنجليزية يهودية قضت فى سينا خمس سنوات كاملة ، تفحص عن كل شئ فيها ، وتنقب عن المياه الجوفية والأراضى الصالحة للزراعة ، والمعادن والطبيعة الجيولوجية بصفة عامة ، والمناخ والطرق والأهمية الاستراتيجية ، وعادت ومعها تقرير شامل يثبت أن سينا صالحة لإسكان مليون نفس وإعاشتهم

وقد عنى الإنجليز بعزل سينا عن كل نفوذ للحكومة المصرية ، وكان محافظ سيناء «جارفس» الإنجليزى هو حارس شبه الجزيرة أن تمتد إليها عين مصرية ؛ وأفهموا المصريين أن هذه الصحراء لا أمل فيها ولا ضرورة للاهتمام بها ، لأن المياه الجوفية فيها لا تصلح لخلق حياة مستقرة ، وكان هذا كله لحساب اليهود الذين يسيرون دفة بريطانيا

ومن المعروف أن جيش إسرائيل عندما تجاوز الحدود المصرية سنة ١٩٤٨ ، كان أول عمل لرجاله عندما وطئت أقدامهم رمال الصحراء بعد رفح أن ترجلوا جميعا ، وقبلوا تراب الأرض ، وأقاموا الصلاة ، ثم تابعوا خطواتهم فى الأرض المقدسة !

أما اليوم فهم يقيمون على الحدود استحكامات قوية ،

ويسكنون في أرضها الفتيان الفدائيين بزوجاتهم وأولادهم ، يقطعونهم الأرض ، ويبنون لهم مساكنهم تحتها -- لا فوقها — ويعدونهم بالمال ليستصلحوها

وأمامهم ألوف الأميال الربعة في الشقة المصرية خلاء ! فإذا أرادوا هم أن يزحفوا فسيزحفون من استحكاماتهم على الحدود ووراءهم العمار . وإذا أردنا نحن — حتى أن ندافع — وقفت جيوشنا ووراءها هذه الألوف من الأميال القاحلة الجرداء الخاوية من السكان

لماذا ؟ لأننا نحن مشغولون . مشغولون بالانقلابات الوزارية. مشغولون بالانتخابات هـل تكون بالقائمة أم بغير القائمة ؟ مشغولون بالاستثناءات ومن ترد إليهم استثناءاتهم ومن لا ترد؟ مشغولون بهذه الأمور الكبار التي لا يجوز أن يلهينا عنها خطر اليهود أوغير اليهود، وماتكون سينا وهي صحراء جرداء إلى جانب كراسي الوزارة الفخمة ومقاعدها الوثيرة، وقاعاتها المكيفة الهواء !

وفجأة — وفي هذه الظروف — تطلع علينا نغمة لا يدرى مبعثها إلا الله ، والراسخون في العلم من اليهود والصليبيين . نغمة تحديد النسل .. لماذا ؟ لأن مصر تضيق بسكانها ، ولأن موارد الرزق لاتنمو بنسبة نمو السكان ، ولأن الأرض الزراعية محدودة

جميل ! نحن معكم في أنه حين تعجز موارد البلد عن إعالة سكانه يجب أن يقف نمو هؤلاء السكان . ولكن حين تكون في موارد هذا البلد بقية فيجب أن يستمر سكانه في التزايد ، لأن نمو السكان في هذه الحالة ضمانة من ضمانات البقاء أمام تكتل الأعداء . وضمانة من ضمانات القوة في المجال الدولي . لأن الأمم التي تريد أن يكون لها وزن في الكتلة الدولية تحاول كلها زيادة سكانها . وأمامنا ألمانيا وإيطاليا وروسيا واليابان . بل أمامنا إسرائيل الصغيرة وهي تحاول مضاعفة سكانها على الرغم من كل ما يشاع من الأزمة الاقتصادية المستحكمة فيها بالخناق !

فهل استنفدت مصر وسائلها لزيادة مرافقها ؟ إن في مصر من الموارد والمرافق ما يكفي لإعاشة ضعف سكانها كما يقول بعض الخبراء ، وأمامنا مثل واحد في سينا ، فهي كافية لإعاشة مليون من الناس ، لو وجدت من يعمرها ويرد إليها الحياة

فلماذا يتجه التفكير أول ما يتجه إلى وقف نمو السكان ؟

ومرة أخرى نكرر ، أننا لا نعارض — بل نحتم — وقف نمو السكان حين يثبت أن مرافق البلاد غير قابلة للنماء . أما حين يثبت أنها قابلة لأن تتضاعف ، فإنه يكون من الحمق ، أوالاتجاه المريب ، أن تثور مثل هذه النغمة . لأن معناها وقف نمو البلاد لامن ناحية تعدادها فحسب ، ولكن كذلك من ناحية مرافقها . فضغط السكان قد ينبه الغافلين إلى محاولة الاستغلال الكامل لمرافق البلاد

على أن حكاية تحديد النسل أو زيادته لا تخضع لحسن الحظ ، لهذه الأفكار السطحية التي لا تحاول التعمق في دراسة الأمور . إن الحرص على زيادة النسل في الريف ضرورة اقتصادية وضرورة اجتماعية . ولا عبرة بالمدن لأنها على هامش حياة الوطن !

إن الذي لا أولاد له في الريف يعيش في مستوى اقتصادي أقل من مستوى أبي الأولاد . كما أنه أقل هيبة وحصانة على الاعتداء . وهذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية من القوة بحيث لا تستمع لنصائح السطحيين !

ولن يتغير حكم هذه العوامل ويخف ضغطها إلا حين ينتشر التعليم ، ويصبح هناك مورد آخر للرزق غير العمل في الأرض ، وقوة أخرى للحماية غير قوة العضلات ! وعندئذ فقط يستطيع الشعب كذلك أن يستعيض من قوة العدد قوة العقل ، ليقف في وجوه أعدائه المحيطين به

إن الفطرة تتصرف في هذا أحكم مما يتصرف السطحيون الذين يحسبون أنفسهم « مثقفين ! » فإذا عز على حضراتهم أن يدرسوا الأمور دراسة حقيقية ، فلا أقل من أن يدعوا الفطرة تعمل بحكمتها ويغنونا عن حكمتهم الذهبية ، المستمدة من الدسائس اليهودية والصليبية !

وبعد فنعود إلى استصراخ النائمين في العالم الإسلامي ليصحوا على مطامع الصهيونيين في سيناء . فإن مصر مشغولة الآن ، مشغولة بالانقلابات الوزارية . مشغولة بالانتخابات وهل تكون بالقائمة أو بالوزن والكيل . مشغولة بالاستثناءات وغير الاستثناءات . وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . والأمر يقدم . ولا حول ولا قوة إلا بالله

سيد قطب

تبعات السينما
في حياتنا الاجتماعية
للأستاذ أنور الجندي

استفاضت المجلات الأوربية في الأسابيع الأخيرة في الحديث عن السينما والأفلام التي تعرضها، وكان الحديث هذه المرة جد غاية الجد، انطوى على تقدير ومراجعة العوامل التي تصيب المجتمع نتيجة لموضوعات هذه الأفلام

وكانت الصحف الفرنسية الأسبوعية أكثر الصحف شغلا بهذه الآثار الاجتماعية والأخلاقية، وتطرق الحديث إلى الشباب والشابات قبل سن المراهقة وإبانها، ومدى أثر الأفلام وموضوعاتها في شخصيته وكيانه، والنتائج العامة المترتبة على ذلك في محيط الحياة العامة

وكانت إحدى المجلات الفرنسية قد قامت باستفتاء ضخم منذ عدة شهور في موضوع «السينما والشباب»، وهل تدفع إلى المعصية والخطيئة والإجرام

وقدمت صحف أخرى إحصاءات ظهر منها أن ٩٠٪ من الأفلام المعروضة تنطوي قصصها على القتل والإجرام والاختلاس والإغواء والزنا والنصب والاحتيال

وبذلك أصبح موضوع النتائج الاجتماعية للسينما والأفلام من الموضوعات الجديرة بالاهتمام في مصر، بعد أن لقيت مثل هذه الرعاية في البلاد الأوربية التي ابتدعت هذا الفن

ولا شك أننا في الشرق قد بدأنا نحس مدى الخطر الضخم الذي يجتاح المجتمع نتيجة للأفلام المعروضة، والتي لا هدف لها ولا سياسة ثابتة توجهها

وكان من الضروري — والفيلم جزء من الثقافة العالمية — أن يشغل أمره بال المصلحين والكتاب والباحثين

ولست أشك لحظة في أن عنصر التسلية والتمة، والخروج من النفس والجد، هو أبرز ما يهدف إليه القائمون على العمل السينمائي، غير أن ذلك لا يحول مطلقا دون تقدير المدى الذي تستطيع أن تهضمه عقليات المراهقين والشبان والفتيات، مما له أبعد الأثر في تكوين السلوك الفردي والعقد النفسية

وإذا كانت الشاشة تستجيب لرغبات الجماهير — في أغلب الأحيان — إلا أنه من الممكن اليسير أن يحاط ذلك بقيود تهدف إلى المحافظة على قواعد الخلق وتقاليد المجتمع

ولسنا نطمع في أن تكون الشاشة موجهة مؤثرة منافحة عن المثل العليا في الخلق، أو عن الأمجاد الرفيعة المستمدة من التاريخ والماضي، ولكنا نريدها على أقل تقدير كريمة وطنية بحيث لا تطغى عليها الناحية المادية التجارية التي يحرص عليها الممولون، فتكون هدفها الأول والأخير

ويقيني أن كتابة القصة السينمائية وحبكتها الفنية، وبراعة عرضها، كل هذا كفيل بأن يكسبها أكبر عدد من المعجبين، ويدر على أصحابها الربح بصرف النظر عن العوامل المصطنعة التي يغري بها فريق قليل من النظارة

وإنا لنرجو أن تنال هذه الصيحات الأوربية اهتمام المشرفين على السينما في مصر فيحرصوا على أن يتفادوا الآثار النفسية الإجرامية أو الآثمة، وأن يحولوا دون كل ما من شأنه إبراز معنى الغواية، وهي خطيرة الأثر على الشاب والشابة المراهقين

وإنا لنرجو أن يتسع الميدان أمام العاملين، فلا يقصر عن المعاني الضيقة والأوهام والشهوات بعد أن خطت الأفلام الغربية خطوات واسعة في مضمار الثقافة والتوجيه، وعرفت بأنها جميعها بلا استثناء تحمل فكرة معينة مدروسة

وإذا كان الأوربيون اليوم يدرسون تبعات السينما وآثارها الخطيرة في المجتمع، فنحن أولى — ونحن نجري وراءهم دائما — أن نأخذ منهم هذه الخطوة دون أن نخشى أن نتهم بالرجعية أو القصور

والسينمائي الناجح كالطبيب الماهر، يعرض الداء ويصف الدواء، ويستطيع أن يحشد عوامل الإيحاء والسيكولوجيا والفن في تحويل نفسية المريض وإقناعه

ولا أظن أننا في كبير حاجة إلى هذه الاستعراضات الراقصة

التي يتمسك بها المنتجون ، وقد ظهرت أفلام دون أن تحشر هذه المناظر المبتذلة ، فنجحت نجاحا منقطع النظير ، وقيل عنها في الخارج إنها رفعت رأس مصر عاليا ، بعد أن كانت مصر متهمة بإنتاج الألوان الغثة وحدها

وجدير بالشاشة في مصر والشرق أن تحرص على عرض أمجاد الشرق ومحاسنه ، ليكون ذلك — على الأقل — ردا على ما تحرص عليه الأفلام الغربية من تشويه تاريخ الشرق ومسخه ، ووضعه في صورة من ألف ليلة وليلة . .

فلطالما عرضت الأفلام الغربية للشرق على نحو من التعصب والهوى ، وهي بما لها من قوة التوزيع والانتشار استطاعت أن تقنع الكثيرين بأن هذه هي حقيقة الشرق ، ونحن نستطيع — وفي أيدينا الوسائل ميسرة — أن نواجه هذه الحملة بتصوير صحيح لأمجادنا وقضايانا ، من شأنه أن يضع الحقائق في نصابها

ومما هو جدير بالذكر أن الأمم المتحدة كانت قد طلبت من مصر في العام الماضي موافاتها ببيانات عن أفلام تنتفع بها لجنة التربية والعلوم الثقافية للهيئة ، لتوزيعها بعد اعتمادها على سائر الدول الأعضاء في العالم كله.

وقد حدد هذا الطلب بأفلام تصلح للعرض على الطلبة في المدارس ، وعلى الجمهور المثقف ، مما يعالج المشكلات العالمية ، من سياسية واجتماعية واقتصادية ، ومن موضوعات صحية ، وأساليب وقائية ، ومن رعاية للطفل إلى نظام المنزل ، إلى مزارع نموذجية لتربية الحيوانات ، إلى مصايد الأسماك ، ثم في مسائل التغذية واختيار الأطعمة ، وطريقة تحضيرها وحفظها . . الخ

ومع الأسف الشديد أن السينما المصرية لم تجد ما تقدمه لهذه اللجنة ، لأننا لازلنا قاصرين عن بلوغ هذا الشوط . .

فالسينما هي إحدى المدارس الثلاث الخطيرة الأثر ، البعيدة المدى في حياة الشعوب ، وهي لذلك جديرة بأن تحاط بالكثير من العناية ، وعن طريقها يمكن إصلاح المجتمع وتوجيهه خير وجهة ؛ بعد أن تغلغلت دور السينما في الأحياء وفي البلاد وفي القرى ، حتى يمكن القول بأن ٩٠٪ من السكان يحضرونها ، ومعنى هذا أن جزءاً ضخما من مواردنا المالية ، وخاصة موارد العمال والطبقات الوسطى ، وهي موارد محدودة جدا تذهب إلى هذا الباب ، ولما كنا نقاسي في حياتنا العاملة العامة ضغطا وضيقا ، فإننا نجد في السينما بابا من أبواب التسلية ، وفرجة من فرج تصريف العوامل النفسية المكبوتة ، ولذلك فنحن في مثل هذه الحالة من الاستعداد للتلقي ، نتأثر إلى أبعد حد بما يقدم لنا لاسيما الفتيات في سن مبكرة ، والأطفال والشباب إبان المراهقة ، ولعلنا نلحظ بوضوح تلك الحركات التقليدية الواضحة في تصرفات النشء الصغار ، والتي هي منقولة نقلا كاملا عن حركات الممثلين والممثلات

ولهذه العوامل مجتمعة كان من حقنا على المصلحين أن يولوا مدرسة السينما عناية كبرى بحيث لا يطغى جانب التسلية والترفيه على روحنا المعنوية أو شخصيتنا الحقيقية

أنور الجندي

٤ – إندونيسيا

الحياة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

الاقتصاد والاستعمار :

لاشك ان الدافع الأول إلى الاستعمار هو العامل الاقتصادى. فالدول الاستعمارية إنما تقصد بوضع يدها على المستعمرات إلى أن تضمن لنفسها إنتاج هذه البلاد سواء أكان زراعيا أم حيوانيا أم معدنيا ، كما أنها تضمن أن تكون هذه المستعمرات أسواقا لتصريف مصنوعاتها . وكل هذا يحقق رفاهية الشعب المستعمر ورخاءه ، وهكذا يسعد بعض الشعوب ويشقى البعض الآخر

تلك هى قصة الاستعمار منذ نشأته ، وستظل كذلك ما بقى ! إنه الدليل الحى على ظلم الإنسان للإنسان وجشعه وطمعه وأنانيته .

ولم تختلف قصة الاستعمار الهولندى لإندونيسيا عن غيرها من القصص ، فقد ظل الهولنديون يدأبون على وضع يدهم على منتجات إندونيسيا وخيراتها وأرضها وعلى تسخير الإندونيسيين فى العمل والإنتاج حتى تم لهم ذلك ، فأصبحوا يسيطرون تماما على الاقتصاد الإندونيسى وجنت هولندا « بقالة أوربا » وشعبها من وراء ذلك أرباحا طائلة وسعد الهولنديون بينما كان الإندونيسيون لايجدون القوت ! وكثيرا مااستخدم الهولنديون القسوة فى دفع الإندونيسيين إلى العمل ، ولما وجه إليهم اللوم قالوا إنا نفعل ذلك لإن فيه صلاح الإندونيسيين ! وهذا هو الاستعمار : شر وبلاء وفقر ومذلة !

وقد كانت الشركة الهولندية الشرقية أول محتكر لإندونيسيا ولكن منذ ١٨٧٠ سمح للرأسماليين الهولنديين باستثمار أموالهم فى إندونيسيا فامتلأت البلاد بشركاتهم ومؤسساتهم ، وعاد الربح الوفير على الشركات الهولندية والهولنديين

راع الدول الكبرى ماتجنيه هولندا من أرباح فطلبت أن يسمح لرعاياها باستثمار رؤوس أموالهم فى إندونيسيا ، واضطرت هولندا إلى اتباع سياسة « الباب المفتوح » فتدفقت رءوس الأموال الأجنبية من هولندية وإنجليزية وأمريكية وفرنسية وألمانية ويابانية على إندونيسيا .

وقال المستعمرون إنهم يعملون على إنماء ثروة إندونيسيا . ربما كان صحيحا ، ولكن هل أدى ذلك إلى تحسين حال الإندونيسيين ورفاهيتهم ؟ والجواب على ذلك : لا

صحيح أن إندونيسيا قد أصبحت قطرا غنيا عظيم الإنتاج يعج بالمصانع والبنوك ، وتنتشر فيه الطرق الحديدية والسيارات ، وتكثر بموانيه السفن والبواخر ، ولكن الشعب الإندونيسى كان ينظر إلى تلك الثروة بكل حسرة لما أصابه من الحرمان والفقر المدقع . يقول الأستاذ «هلفرسن» الهولندى عندما ودع إندونيسيا : آه يا إندونيسيا الغنية ... ولكن شعبك فى عوز وفقر مدقع ! ويقول الدكتور ليفرت « إن الأجور التى يتقاضاها العمال الإندونيسيون لاتزيد عما يسد الرمق » .

على أن هذا البؤس كان مما دفع الإندونيسيين إلى أن ينهضوا وإلى أن يحاولوا رفع هذا الضغط الاقتصادى عن كاهلهم وإلى أن يعملوا على تحسين حالتهم الاقتصادية، وفى النهاية إلى أن يعملوا على تحرير وطنهم من ربقة المستعمر وإعادة الاستقلال إليه . وهكذا استيقظت إندونيسيا من سباتها

وكانت الشركة التجارية الإندونيسية التى تأسست ١٩٠٩ أول حجر فى هذا البناء الشامخ وأصبحت الجمعيات والأحزاب الإندونيسية تعنى بالتحرر الاقتصادى للاندونيسيين كما تعنى بالتحرر السياسى ومن ثم كثرت الشركات الوطنية التجارية والصناعية

وفى ١٩٣٨ تأسست شركة « الملاحة والتجارة » للجمعية المحمدية . وقد كانت تهتم بتيسير نقل الحجاج إلى مكة ، وساعدت كثيراً على تقدم حركة النقل التجارى الإندونيسية .

ثم أنشىء « البنك الإسلامى » تحت إشراف الجمعية المحمدية وبجهود المرحوم الدكتور ستدمو قام فى سورابايا « البنك الإندونيسى الوطنى » .

وهكذا سارت حركة التحرر الاقتصادى جنبا إلى جنب

مع حركة التحرير السياسى ، وفى ١٩٤٥ تحقق استقلال إندونيسيا ونحن نرجو لشعبها الرفاهية والقوة فى ظل الاستقلال

قصة جوز الهند :

شجرة جوز الهندى زينة المناطق الحارة وحلية المناظر الطبيعية فى الغابة ، تمتاز بارتفاع هامتها وباعتدال جذعها النحيل وبتجرد ساقها من كل فرع أو غصن ، وتتوج هامتها أوراقها الوارفة تتموج وتتمايل فى الفضاء تحت ضربات الرياح فيسمع لحركاتها صوت يشبه حفيف أجنحة الحمائم الطائرة .

وإندونيسيا من أكثر الدول إنتاجا لجوز الهند فهى تنتج ٢٥٪ من المحصول العالمى وتصدر منه مايزيد على ٥٠٠٠٠٠ر طن سنويا .

وللجوز الهندى منافع جمة : فبداخله شراب لذيذ الطعم ويحيط به لب ناصع البياض هو غذاء شهى . وللجوز الهندى غلاف صلب يمكن استخدامه كوعاء وتغطيه ألياف يمكن صناعة الحبال منها وكذلك تستخدم فى صياغة الأكلة والمكانس أما السعف والأوراق فتستخدم وقودا وأما الجذع فيعتبر من أقوى خشب العمارة ويتخذ لبناء البيوت والجسور .

ولشجرة جوز الهند قصة طريفة ترويها الأساطير الإندونيسية .

زعموا أنه كان يعيش فى إندونيسيا فى قديم الزمان ملك عظيم الشأن يخضع لسلطانه جميع الملوك المعاصرين . وكان لهذا الملك طاهية قديرة تتفنن فى صناعة الأطعمة الشهية والمأكولات اللذيذة ولا يفوقها أحد فى براعتها أو مهارتها . وكان الملك فخورا بها معزوا ببراعتها ويشملها دائما بعطفه ورعايته وهداياه وجوائزه .

ولقدرتها الفائقة بعث الملوك بطهاتهم إلى قصر الملك ليأخذوا عن الطاهية فنها ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى السر وظل فنها قاصرا عليها

وذات يوم كانت الطاهية مشغولة بإعداد طعام الملك فتناولها أحد ندمائه ودخل المطبخ خلسة واختفى فى ركن من أركانه ، وظل يراقبها لكى يقف على سرها

وكانت الطاهية تحمل على ذراعها طفلها الرضيع ، وسرعان ما وقف النديم مبهوتا مدهوشا . لقد رأى الطاهية تحلب من ثديها لبنا صبته فى الإناء الذى يفور فيه الطعام المهيأ للملك . عرف النديم السر فتسلل من مخبئه وذهب توا إلى الملك وأوقفه على الأمر

ثار الملك وغضب على طاهيته التى تجرأت على أن تطعمه من لبن ثديها القذر ، ولم ير سوى الموت عقابا لها على جرءتها ، وأمر بتنفيذ حكم الإعدام فورا ولم يشفع لديه بكاؤها ولا توسلاتها

عرفت المسكينة أنها هالكة لامحالة فدعت الإله فى ضراعة أن يحمى طفلها الوحيد بعد موتها وسألته أن يرد جسمها بعد دفنه إلى شىء يستطيع أن يقوم لابنها ولأعقابه بأجل الخدمات ودفنت جثتها فى موضع بداخل الغابة ، ولم تمض أيام على موت الطاهية حتى شوهد فوق قبرها نبات ينمو ويترعرع فى سرعة مدهشة، ومالبث أن أصبح شجرة عالية ذات ثمار كبيرة مستديرة ! إن الوجود قد انشق عن أول شجرة للجوز الهندى أوالنارجيل

لقد تحقق جميع ما طلبته الطاهية : إن جسمها قد تحول إلى شجرة جمة المنافع ، فثمرتها عظيمة ، فى جوفها ماء ليس كالمياه! تجده نقيا صافيا فيه حلاوة الرحيق وأنفاس النبيذ لذة للشاربين ومطفئا لأوار الظامئين . كم من مسافر أطفأ ظمأه شراب جوز الهند !

وكم من جائع ناله الشبع من لب جوز الهند ! .

وكم للجوز الهندى من فوائد (راجع ماسبق) !

وهكذا استجاب الإله لدعاء الطاهية فصنع من جسمها شجرة عظيمة النفع لأبنائها وأحفادها .

وتمضى الأسطورة فتقول : إن روح الطاهية تطوف بأشجار النارجيل ليلا تودع أحفادها وكأنها تقول

نم أيها الطفل الحبيب نم

فإن أعمالى قد انتهت

وقد أجهدت أنت نفسك كثيراً فى اللعب

والنهار قد ولى وبلغ نهايته

هلن كلـــــر

العمياء الصماء البكماء

للأستاذ نقولا الحـــــداد

بقية ما نشر فى العدد الماضى

قالت مس سوليفان فى أحد تقاريرها . إن لهلن ذاكرة عجيبة لا تصدق . كنا ذات يوم فى فندق فى بلدة تدعى هوسفيل وتجمع النزول حولنا لـكي يروا تلك المرأة العجيبة . كانوا نحو عشرين شخصاً . فقدموا لهلن هدايا مختلفة . وقدموا أنفسهم إليها بأسمائهم . وكانت تصافح كل واحد منهم وكنت أنقل لها اسمه على كفها . وفى اليوم التالى تجمعوا حولها . وكانت تصافح كل واحد منهم وتذكر لى اسمه على كفى

هذا هو العجب العجاب ! من يصدق ؟ المعلمة لا تـكذب إذ لا غرض لها من الكذب فى تقريرها . وكان كل واحد من نزلاء الفندق يقول كلمة من إعجابه . فقال أحدهم : ما رأيت فى حياتى وجهاً يشع بهاء كهذا الوجه كأنها ليست عمياء أو خرساء وقال آخر : أود أن أهب كل ما أملك وأن تـكون هـذه الفتاة دائمـاً إلى جانبى »

روت مس سوليفان فى أحد تقاريرها أن هلن كانت شديدة الإحساس العقلى لدرجة لا تتصور . كانت تدرك عاطفة كل شخص تلمسه أو تلمس يده أو تتصل به بأية طريقة . فتعلم هل هو مرح أو غاضب أو مستاء أو يائس أو آمل . ففى ذات يوم رمى ولد « فرقيعة » صغيرة أمام أمها فا جفلت فسألتهـا هلن فى الحال « مم خفت » ؟ (ألا يخفى أنها كانت قابضة على يد أمها كعادتها حين تسير مع أى شخص) . وفى ذات يوم كانت هلن ومعلمتها سائرتين فى الشارع ، فرأت المعلمة شرطيا قابضاً على غلام يمضى به إلى دائرة البوليس ، فقالت لها هلن : « ماذا تشاهدين ؟ » كأنها أحست أن المعلمة أشفقت على الغلام

وفى ذات يوم دعا داع أن تدخلا إلى مقبرة . قالت سوليفان رأيت هلن قد انقبضت كأنها أحست بشئ كئيب مع أنها حتى ذلك الحين لم تـكن تعرف شيئاً عن الموت ، بل عرفته لأنهـا فى ذات يوم عرفت أن حصاناً انكسرت رجله فى حادث . فـكانت تريد أن تزوره كل يوم . وكانت تشعر أنه يئن من الألم ، وفى ذات يوم ألحت فى الذهاب إليه فقالت لها إنه مات ودفن تحت التراب . فسألت : كيف مات ؟ هل مات كما تموت البطة التى يصطادها أبوها بالبندقية ؟ وكانت تمسك البطة الميتة وهى تعرف كيف تـكون البطة الحية . فقالت لها المعلمة : نعم وقد رموه بالرصاص كى يخلصوه من الألم إذ لم يبق أمل بشفائه . وهكذا عرفت الموت

وفيما كانت فى المقبرة كانت تتحسس كل حجر وكل رخامة إلى أن صادفت اسم فلورنس محفوراً على رخامة قبر . فسألت : « أين فلورنس الآن ؟ هل بكيت عليها ؟ من وضعها فى الحفرة الـكبيرة ؟ أظنها ماتت جدا . وكانت المعلمة تتجنب أن تجاوب على أسئلتها. وإنما أفهمتها معنى الموت

وكانت هلن فى حداثتها رقيقة الشعور جدا . ففى ذات يوم ألبستها أمها معطفاً أنيقاً ، وكانت فرحة به جداً، وقالت لها أمها « يوجد غلام أعمى فقير ليس له مثل هذا المعطف . فما قولك ؟ فما كان منها إلا أن جعلت تخلع المعطف لـكي تعطيه للغلام .. فردته أمها عليها وقالت سأصنع معطفا غيره للغلام

لبعث بقية

والليل قد أرخى سدوله
فنم أيها الطفل العزيز نم
وأغمض جفونك أيها الحبيب
وخذ قسطك من الراحة
كيما تشب قويا مفتولا
واتخذ من صدرى فراشا وثيرا
وأغمض جفونك أيها الحبيب

أبو الفتوح عطيفة

وكانت رقيقة الإحساس نحو جميع الأحياء الذين حولها . وكانت إذا ركبت المركبة إلى جنب السائق ترجو منه أن لا يقرع الحصان بالمقرعة فتقول له بلغتها . « حرام ! الحصان يبكي » .

كانت في أوقات الفراغ تخيط أو تطرز . ولكنها كانت تقرأ كثيراً ، وفي قراءتها تمر أصابع يسراها على الخط العمياني وبأصابع اليمنى تهجي الكلمات ، وحركات يدها سريعة جداً

وفي ذات يوم علمها ابن عمها أبجدية التلغراف فتعلمتها بسرعة وكانت تخاطب بها كل من يعرفها بنقر أصابعها على كفه . عجيب أنها تفهم بسرعة ولا تنسى ما تعرفه

والغريب أنها تعلمت السباحة والغوص ، وكانت تسوق المركبة ذات الحصانين . وبالطبع كانت معلمتها إلى جنبها لتقيها من الزيغان والحصان يقيها منه لأنه يرى الطريق وهي تلقي له اللجام على الغارب

وكان كل أمنيتها أن تدخل كلية ردكليف لتدرس مع المبصرين والسامعين العلوم العليا ، ولما دخلت الكلية انتخبها الصف الأول نائبة رئيس الصف ، والصف أربع سنين دراسة أعلاها الرابع

جميع كتب الدراسة والتعليم مكتوبة للعميان بالحروف البارزة . وللعميان آلات كتابية (تيب ريتر) يستعملونها . وكان لهلن جميع الكتب العميانية ولها آلة كاتبة خاصة . ومس سوليفان لا تفارقها فتساعدها في كل ظرف من ظروف دراستها

ففي الكلية درست النحو وآداب اللغة الإنكليزية . ودرست اللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة اللاتينية واليونانية . ولما كان للعميان جميع الكتب المهمة في هذه اللغات بالحروف تيسر لهلن أن تقرأ بعض إلياذة هوميروس وبعض شكسبير . وأهم مؤلفات الألمان والفرنسيين

والغريب أنها وهي في الكلية كانت تهتم بإنشاء كلية لتعليم العمي والبكم . وبذلت جهداً في هذا السبيل وألفت لجنة لهذا الغرض منها معلمتها وأمها وبعض موظفي مدرسة العميان التي درست فيها ، وهي تعترف دائماً بأن مس سوليفان صاحبة الفضل الأعظم عليها وأنها أمها الثانية ، ثم إنها جعلت تسعى لتحويل هذا المشروع فكتبت للكثيرين أن يمدوه بالمال . فلا بدع أن نراها وهي في سياحتها في الشرق توجه كل اهتمامها إلى مدارس العميان والعمي لمساعدتها

وانتهت هلن من كلية ردكليف بنجاح فائق وأخذت مع المبصرين والسامعين درجة بكالوريوس علوم . وما قنعت بهذا بل طمحت إلى الجامعة لكي تحصل على دكتوراه في العلوم ثم دكتوراه في الفلسفة

ولما بلغت العشرين من العمر وكانت قد انتهت من الدرس شرعت تكتب تاريخ حياتها الذي طبع في سنة ١٩٠٣ أول مرة ثم طبع سنة ١٩٣٢ مرة ثانية

وكانت مجلة السيدات ladies home Journal تنشر مقالاتها وجميع أخبارها وأخبار مس سوليفان عنها

وبكل أسف ليس في كتاب تاريخ حياتها الذي نحن بصدده شيء عن حياتها بعد كتابة كتابها الأول . وإنما هناك كتاب آخر بعنوان Mid Sheom يستوفي بقية حياتها في الجامعة وبعدها . وأتأسف أنه لم يتيسر لي الحصول عليه

ولمس سوليفان فصل طويل في مسائل هلن عن الوجود والله والطبيعة ، فكانت مس سوليفان تسوف الأجوبة على هذه الأسئلة إلى أن تنتهي هلن من الجامعة ودرس الفلسفة

هذه هي هلن كلر التي هي كتلة عقل في دماغ طري مرن ، وكتلة أعصاب في بدن شديدة الحساسة ما عدا أعصاب السمع والبصر . والذين رأوها في مصر دهشوا من مقدرتها في التعبير عن نفسها وأفكارها . ومنهم كثيرون لم يصدقوا هذه القدرة لأنهم رأوا وجهها يشع جمالاً وليس في عينيها ما يدل على عمى ، وما فهموا أن العيب ليس في عينيها ولا في أذنيها ، وإنما هو في مراكز السمع والبصر في الدماغ

فسبحان من منع ثم منح

جحا القاضي

للاستاذ عطا الله ترزى باشى

اشتهر من بين المستظرفين فى الشرق رجلان سميا بجحا ، أحدهما عربى ، هو أبو الغصن بن دجين بن ثابت الذى عاش بمدينة الكوفة فى القرن الثانى من الهجرة ، والآخر تركى يعرف بجحا الرومى ، وهو الخوجة نصر الدين الفيكهان(١) العالمى المعروف

ونريد فى هذا المقال أن نتكلم عن الثانى على أن نحصر الكلام فى ناحية هامة من نواحى حياته ، ونعنى بها جانب القضاء ، وأن نتطرق كذلك بإيجاز إلى جوانب حياته الأخرى كلما مست بنا حاجة أو دعت إلينا ضرورة

ولد جحا بمدينة (سيورى حصار) من ولايات الأناضول وتلقى علومه الابتدائية فى مدينتى (آق شهر) و (قونيه) . وعين بعد ذلك إماماً فى بعض المساجد فدرساً . وقد اشتهر بالوعظ والخطابة ، وشغل منصب القضاء مدة غير قليلة فى نواحى قونية . وتوفى سنة ٦٨٣ هـ عن عمر يناهز الستين . وقد ثبت تاريخ وفاته فى مرقده بترتيب عكسى لأرقام السنين ، فكتب تاريخ ٣٨٦ هـ بدلا من ٦٨٣ . وهذا الأخير مشكوك فيه أيضا

لقد كان جحا الرجل الفذ المعروف بحضور بداهته وقدرته على إبداع النكات بما لا يضارعه فى ذلك أحد من المستظرفين . ولئن كان جحا ضحكة (٢) بين الناس فإنه لم يكن ساخراً أو مهاناً راضيا بالذل والضيم .. فقد كان شيخاً كريما وأديباً ممتازا جمع بين الجد والهزل بشكل لا يجاريه فيه أحد من الأدباء ، وعالماً فاهما يفحم فطاحل العلماء بأجوبته المسكتة وأدلته المقنعة . وهو يعد بلا شك برناردشو زمانه ، والواقع أنه كان أذكى وأعقل .. ومن درس حياته دراسة عميقة توسم فيه أدباً رفيعا بعيدا عن الهزل المبتذلة .. ورأى من وراء سفاسفه فلسفة مثلى .. والمطلعون على نكاته — باختلاف طبقاتهم واختلاف ألوانها — تراهم يستمتعون بلذاتها أبد الدهر . فهو يتمثل فى مخيلة كل قارئ شخصاً يتغير وصفه بتغير حال المخيل ، فيتصوره الصغير رجلا طاعنا فى السن وعصاه فى يده يسوق بها حماره الذى يلازمه فى أكثر نكاته . ويتخيله الجاهلون من طبقة العوام رجلا ذاجنة فيهرفون فى الضحك به ، ويعتبرون نوادره لونا من الهزل الرخيص . وهو فى الواقع رجل عظيم كما ذكرنا ، حكيم رزين ، وعالم متزن متحل بمزايا الإنسان الكريم . أما نكاته فهى مرآة صافية تتمثل فيها جوانب شخصيته الممتازة . وقد ترجم أغلب نوادره إلى اللغات العربية والفارسية والهندية فضلا عن أنها ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية الحديثة . وقيل إن أحد الإنكليز المغرمين بنوادر جحا كان يقتنى كل نادرة غير موجودة فى مجموعته بجنيه استرليني ، حتى تمكن من الحصول على عدد غير قليل من نوادره ..

كان جحا يجالس العلماء البارزين ويتحداهم فى كثير من المسائل ، وكان يصاحب رجال الدولة وخاصة القضاة منهم ، فيستشيرونه فى كثير من الأمور فيرشدهم إلى أسلم الحلول . وكان الأفراد ، صغيرهم وكبيرهم ، يحتكمون إليه فتراه يحل مشاكلهم بفطنته ويقطع بينهم دابر الفساد بدرايته . فيرضى بحكمه الصغير ويقنع برأيه الكبير .. يحسم النزاع بشكل لا يدع فيه للاعتراض مجالا ولا يترك للمناقشة بابا . يعبر عن غاياته بتعابير شيقة توافق مقتضى الحال . فيعرف كيف يخاطب الصغير ويجارى الجاهل الغرير(٣) وهو يعرف كيف يوازى الحكيم المحكم ويوازن الشيخ الكريم ...

أدرك جحا عصر تيمورلنك (٤) الملك الجبار وأنس بمجلسه . وكان يواجهه فى كل حين مواجهة صديق لصديقه ، لا يأخذه منه روع أو جزع ..

دخل تيمور بلدة جحا مظفراً منتصرا على العثمانيين . فخاف الناس أن يصيبهم منه أذى حتى أقدم جحا على زيارته

(١) بمعنى الفاكه

(٢) وهو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه

(٣) بمعنى الغر بكسر الغين

(٤) وإن يرى بعضهم خلاف ذلك ..

وأبدى جسارة فى الجلوس بجانبه . ولما رآه وقد مد إحدى رجليه (٥) أراد أن يضحك منه ؛ فمد هو رجله من ساعته . فاستشاط تيمور غضباً وقال له : لقد سمعت عنك أنك ظريف حكيم ولكن تبين لى أنك حمار ! فتبسم جحا ضاحكا وقال له : أجل ! إنه ليس بينى وبين الحمار فرق سوى ذراع أو ذراعين (٦) ! فتعجب تيمور من هذا الجواب فأمر بالإنعام عليه وجعله من المقربين

ويروى عنهما نكات كثيرة ، نخص بالذكر هنا إحداها وقد تميزت بطابع القضاء الذى جعلنا المقال يدور حوله

ارتجل (٧) جحا يوماً أوزة وجاء يقدمها إلى تيمور ، فغلب عليه الشوق إلى أكل شرحة منها ، فعالجها لاختيار الموضع الذى يأكل منه حتى تناول إحدى رجليها (٨) . . ففطن السلطان للمسألة ، فسأله بغضب عن علتها فأجاب جحا قائلا :

— إن الإوز فى هذه البلاد — يا سيدى — له رجل واحدة ! وأشار إلى الإوز فى الحديقة وهى واقفة على رجل واحدة (٩) .. وعندها قام تيمورلنك فضرب الإوز بعصاه حتى تولت برجليها مسرعة . . قال له جحا : لئن ضربناك بهذه العصا لرأيناك تركض بأربع أرجل ! وكان ذلك جواباً مفحما ابتغى من ورائه الإشارة إلى الآثار السيئة التى تنجم عن التعذيب فى المجتمع

* * *

لقد زادت قيمة جحا وعلت منزلته بين الناس بمر الأيام وكر الأعوام حتى تكون له مركز ممتاز فى المجتمع . وقد ذاع صيته فى أطراف البلاد ، فاهتمت به الأوساط الأدبية وعنت المجالس الثقافية بجمع نوادره الرائعة .. وأحبه الناس حبا جما فكانوا يكرمون وفادته فى كل مكان . وكان رجال العلم وأكابر القوم وولاة المملكة وقضاتها لا ينقطعون عن مجالسه ولا يدعونه ينقطع عن مجالسهم

يروى أن أحد القضاة أراد يوماً أن يستهزئ بجحا فى مجلس ضم جمعا غفيرا من علية القوم ، وكان يغريه فى ذلك أحد التجار ، قال :

— لا غرو أن كثرة الكلام داعية للخطأ ، فهل صادف أن سببت لسانكم الثرثرة خطأ ؟

قال جحا : نعم . وكان ذلك فى موضعين : أحدهما فى جملة « وقاضيان فى النار » فقد قرأتها خطأ « وقاض فى النار » وثانيهما فى آية « إن الفجار لفى جحيم » إذ قرأتها « إن التجار ... »

ويروى له مع هذا القاضى نادرة أخرى أطرف من سابقتها وهى أن جحا كان يوما جالسا مع صديقه القاضى فى قاعة المرافعة ، فجاء رجلان يتخاصمان على رفع جيفة كلب ملقاة فى الطريق بين داريهما ، يطلب كل منهما إلزام الآخر برفعها رأى القاضى أن يحيل المسألة على جحا فيحسم النزاع وكان يروم الاستهزاء به . فما كان من جحا إلا أنه اعتلى منصة القضاء وأصدر حكما يتضمن أن الأفراد غير ملزمين بإزالة الجثث من الطريق العام ، وإنما المختص بهذا العمل هو حضرة القاضى الذى يمثل المصلحة العامة (١٠)

وهكذا حسم الدعوى حسما موافقاً لمقتضى القانون والعدالة ، منتقما من القاضى الذى أراد الاستهزاء به ..

ويعبر جحا بنكاته البديعة عن واقع الحال تعبيراً صادقا ، ويصور بها الأوضاع السيئة فى عصره خير تصوير . فانظر إلى فكاهته هذه كيف يوضح بها سوء القضاء وتفشى الرشوة بين الحكام :

حكى أن ثريا قال لجحا : إن تبصق على وجه فلان ، وهو

(٥) لعلة فى رجله

(٦) وكان يبعد عن تيمورلنك فى المجلس بهذه المسافة

(٧) يعنى طبخ فى المرجل

(٨) فأشار بذلك إلى عرجة تيمور

(٩) والمعروف عن هذا الطير أنه يقضى معظم أوقاته واقفاً على الرجل الواحدة

(١٠) وفى التعبير التركى الذى استعمله جحا تورية تعنى أن جيفة الكلب هى حصة القاضى .

عدو لى ، فلك منى دراهم كذا .. وافق جحا على ذلك .. فرفع المشتكى أمره إلى القاضى ولدى السؤال أجاب جحا قائلا . إن لدى فرمانا (١١) يخول لى الحق فى ذلك ..

فاستغرب القاضى من ذلك وقال له أرنى هذا الفرمان . فإذا بجحا يدفع كيساً إليه وفيه نصف المبلغ الذى أخذه من صاحبه التاجر . وما أن أخذ القاضى الدراهم حتى ولى وجهه إلى المشتكى وقال :

— حقا لقد أبرز خصمك فرمانا يخول له الحق أن يبصق على وجهك وعلى وجوه الناس بل وعلى وجهى كذلك !..

وتقلد جحا منصب القضاء مدة طويلة كان خلالها مثال الحاكم العادل الذى لا يغريه الطمع والحكيم المجرب الذى لا يغويه الفساد . فكان حازما فى رأيه صريحا فى نطقه ، قوى الحجة كثير البلاغة ، ذكيا ذا فطنة لا تخدعه خديعة الماكرين ولا يجترفه عن الصواب مكر الماجنين .

حكى أن أحد الماكرين أراد أن يحتال على كسار خشب ، فادعى أن له بذمته مبلغا نشأ عن حثه المدعى عليه على كسر الحطب بترديده كلمات « هينخ .. هينخ » حيث سهل أمر الكسر ، ولذا فإنه يطلب من المحكمة إلزام المدعى عليه بالمبلغ المدعى به وهو أجر قوله ...

تأمل القاضى — وكان جحا — فى المسألة ثم قال للمدعى عليه : هات المبلغ المدعى به ! وما أن أخذ الدراهم حتى رنها وأعادها إلى صاحبها المدعى عليه قائلا :

— إياك الدراهم .. وأنت يا مدعى قد انتفعت بصوتها فهو أجر قولك !

ويروى من جحا فى هذا الموضوع نوادر شتى ، منها : المدعى (مشيراً إلى المدعى عليه) لقد كان هذا يحمل ثقلا فوقع من ظهره ، وطلب إلى أن أعاونه، فسألته عما يعطينيه قال « لاشئ » فرضيت بها وحملته الثقل ... ولذا فإنى أطلب من المحكمة إلزام المدعى عليه بتأدية « لا شئ » لى

جحا (وهو القاضى) — دعواك صحيحة يابنى ! .. تقرب منى وارفع هذا الكتاب .. ماذا تجد فى أسفله ؟

المدعى — لا شئ ..

جحا — فخذها إذن وانصرف !

ويلاحظ أن القرارات التى كان يصدرها جحا لم تكن من نوع القرارات القراقوشية التى لا تتفق مع قواعد العدالة .. ولئن كان ظاهرها موصوفا بطابع الهزل فإن باطنها كان محبوكا بأنسجة الحق والصدق .. فلم يكن جحا ليمزج الحق بالباطل أو يخرج الصدق بالمين إلا على سبيل الملاطفة .. جاءه يوماً رجل وقال له :

— إن ثوركم نطح ثورى فهلك ! فهل يلزم الضمان ؟

فقال جحا : كلا ! فإن دم العجماء جبار ...

فقال صاحب الثور: عذرا لقد أخطأت، فإن ثورى هو الذى نطح ثوركم !

وعندها قام جحا منزعجا وقال :

— هات لى الكتاب الفلانى ، فقد تغير وجه الادعاء

وأبدع جحا مرة فى الإجابة عن بعض الادعاءات المتناقضة بقول حاسم جميل، لقد جاءه أحد المتخاصمين يبسط له النزاع ويبرئ نفسه ويدين خصمه . فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، وبعد قليل جاء المتخاصم الثانى وبدأ يشرح له الأسباب ، فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، فاستغربت امرأته من ذلك وقالت له : لقد جاءك المتخاصمان فقلت لكل منهما إنك على حق ! ولئن كان أحدهما محقا فى دعواه، فإن الآخر ولاشك غير محق فيها ، فالتفت إليها جحا وقد تدارك الجواب :

« نعم ولئنك على حق »

كركوك عطا الله رزى باشى

(١١) الفرمان هو الارادة السنية التى كان يصدرها السلاطين العثمانيون فى أمر تولية بعض المهام الرسمية

زعماء التاريخ

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسين

« لم يكن مصطفى كمال رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه إلى البطولة خلو الميدان .. ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يوشك أن يضل .. والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت . » الزيات بك

— ٦ —

انتهى الكفاح المسلح ... وخرجت تركيا من الحرب منتصرة ظافرة .. وبذلك بدأت الحياة تدب فى قلب الوطن التركى من جديد .. واضطر الحلفاء أن يعترفوا باستقلال الأتراك .. ويعيدوا إليهم حريتهم المسلوبة .. وأراضيهم المحتلة

(١) ومن عجيب المتناقضات .. أن هول هذه النكبة التى حاقت باليونانيين .. كانت أكبر سبب فى إزالة العداء بينهم وبين الأتراك .. وإنشاء علاقات ودية بين حكومتى أنقرة وأثينا .. وهكذا نفذ مبدأ تقرير المصير عن طريق السيف والنار .. والذبح والتدمير !

وإن الباحث فى تاريخ الحركة الكمالية يرى أن هناك ظروفا — لم تخل من مزايا — ساعدت مصطفى كمال وأتباعه .. على الوصول إلى هذه النتيجة الباهرة .. التى لم يكن يتوقعها الأتراك أنفسهم

وهذه المزايا يمكن تلخيصها فيما يلى :

(٢) أولا : نجد الترك فى سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ قد تخلصوا — إن طوعا وإن كرها — من عبء إمبراطوريتهم .. وكانت عبئا أثبتت الحوادث أنه لم يكن لهم طاقة بحمله

ثانيا : فى الحروب الماضية لم تنفذ الأطماع الأوربية إلى أرض الوطن التركى نفسه .. أما عند نهاية الحرب العالمية .. فقد قسمت تركيا إلى مناطق نفوذ بين الدول الكبرى .. فكان لذلك أثر كبير .. إذ دبت فى صدور الأتراك عاطفة وطنية قومية .. تهدف إلى استقلال الوطن .. لا إلى استعباد الغير ..

ثالثا : انهكت الحرب العالمية قوى المتحاربين جميعا لا فرق فى ذلك بين المنتصرين والمنهزمين .. ولذلك لم يعبأ الرأى العام فى الغرب بغضب رجال السياسة .. ولم يبذل اليونانيون مساعدة جدية .. من جانب الحلفاء .. . مما ساعد الكماليين فى حركتهم القومية

رابعا : عملت الحكومة البلشفية فى روسيا على تشجيع الكماليين ومساعدتهم .. علهم يتمكنون من إجلاء الحلفاء عن القسطنطينية .. وسد المنافذ للبحر الأسود

ويرى الأستاذ محمد شفيق غربال .. أن هذه المزايا الأربع .. كانت عظيمة الأثر .. كبيرة الخطر .. ولكن لا يقلل هذا من عظمة مصطفى كمال .. وحسن بلاء أتباعه .. إذ لم تكن إذ ذاك واضحة وضوحها لنا الآن .. وكان قيامه بالحركة كله جرأة وإقدام وبعد نظر

وإذا أردنا أن ندرك عظمة الجهود التى قام بها مصطفى كمال .. فلنرجع إلى خطابه الذى ألقاه أمام حزب الشعب سنة ١٩٢٧ م .. والذى جاء فيه .. « وهناك أمران مهمان فى صدد هذه الفترة .. أولهما : أنه كان يسود فى الأذهان فكرة وجوب عدم إغضاب الدول الكبرى المنتصرة . أثناء البحث فى وسائل الخلاص .. وكانت فكرة عجز الأمة عن الوقوف أمام واحدة منها ... فضلا عن الجميع ... راسخة رسوخا قويا فى الأذهان .. ولم يعد منه شئ أبعد عن المنطق والعقل فى نظر الناس من الوقوف فى وجه قوى الحلفاء

أما ثانيهما : فهو الارتباط التام بمقام السلطان الخليفة انسياقا وراء التقاليد الدينية والوطنية التى مرت عليها الأجيال .. ولم يكن أحد قادرا على فهم معنى الخلاص من غير الخليفة .. وكان من يشذ عن هذا المفهوم .. يتهم باللادينية .. واللاوطنية .. والخيانة ... »

ومع هذا الفساد فى الحكم .. والتشاؤم من المستقبل المظلم القاتم .. وفقدان الثقة بعظمة الأمة التركية وحيويتها .. كانت خطب الزعيم مصطفى كمال .. وأقواله المأثورة منذ أوائل الحركة

(١) « فشر : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث : ص ٨٤ »

(٢) محمد شفيق غربال بك : دائرة المعارف الاسلامية المجلد « تركيا

النضالية وفى أثنائها . . وبعدها . . تدل على أن ما صدر عنه من توجيهات . . وأعمال قضائية . . وسياسية . . وانقلابيـة . . وإصلاحية .. فى مختلف النواحي .. لم يكن مرتجلا ، وإنما كان يدل على عظمة حقيقية

بعد أن انتهى مصطفى كمال من تحقيق غرضه الأول .. وهو الحصول على استقلال الوطن التركى . . بدأ ينظر فى حالة البلاد الداخلية . . فكان أول عمل قام به هـو الفصل بين السلطنـة والخلافة .. وإلغاء السلطنة نهائيا من البلاد

أخذ يخطب فى المؤتمر الوطنى . . وقال للنواب : « إن السلطنة شئ .. والخلافة شئ آخر .. ولا بد من الفصل بينهما وإلغاء الأولى .. »

وحينما طـال الاجتماع — وكثرت المناقشات . . ضجر مصطفى كمال من طول الانتظار .. فاقتحم القاعة وقال : « لقد اغتصبت السلطنة العثمانية السلطة من الشعب . . ومن حق الشعب أن يستردها .. ويفصل بين السلطنة والخلافة .. ويجب عليكم أن توافقوا على هذا القرار .. وإلا كلفتكم المعارضة ثمنـا غاليـا هـو ... رؤوسكم .. » وما أسرع ما وافق الأعضاء .. وألغيت السلطنة .. وعزل السلطان وحيد الدين .. ونصب مكانه عبد المجيد خليفة للمسلمين .. دون أن تـكون له صفة سياسية .. وبعـد فترة قصيرة .. أعلنت الجمهورية . . وأصبح مصطفى كمال رئيسا لهـا . . ورئيسا لأركان حرب الجيش . . ورئيسا لحزب الشعب ... »

نظر مصطفى كمال بعـد ذلك إلى منصب الخلافة . . وكان يعتقد بعبث وجوده . . خصوصا وأن زعماء المعارضة بدأوا يتخذونه محورا لحركاتهم . وعملوا على تقويته بمختلف الوسائل ، وكانت خطتهم تقضى بإعادة السلطة الزمنية للخليفة ، وجعله سلطانا على الأتراك ، وفى سنة ١٩٢٤ ، قرر المؤتمر إلغاء الخلافة وحرمان الخليفة المخلوع ، وأفراد العائلة العثمانية ذكورا وإناثا ، من الإقامة داخل حدود الجمهورية إلى الأبد

عمل مصطفى كمال بعد ذلك على إلغاء الطرق الصوفية ، لأنه رأى ما لمشايخ الطرق من تأثير على الجمعيات والاجتماعات السرية ، والدعـوة إلى المظاهرات ، وإثارة العصبية الدينية ضـد العهد الجديد ، وفى سنة ١٩٢٥ ، صدر قانون بإلغاء الطرق ، وإغلاق الزوايا ، ومما قاله مصطفى كمال فى ذلك ، « إن هذا الظرف كان من خير الظروف للقضاء على هذه الخلافات البغيضة التى شوهت الدين ومبادئه ، وجعلت أماكنه أوكار جهل وعبث وفساد ... »

كما أصدر تشريعا يقضى بمنع الإسراف فى الأعراس ، ومما جاء فى هذا التشريع ، « منع إقامة الأفراح لأكثر من يوم واحد ، ومنع إقامة مآدب أفراح عامة ، ومنع إهداء العروس أكثر من ثوبين ... »

وعمل أيضا على منع تعدد الزوجات ، وتعليم البنات ، وقد نص الدستور على التعليم الإجبارى للأنثى كالذكر تعليما ابتدائيا ، ويعتبر هذا التشريع خطوة كبرى أدت إلى سفور المرأة التركية ، وخروجها إلى ميدان الحياة ، ولم يقتصر على ذلك ، بل نادى بتغيير الزى بمـا يتناسب وروح العصر ، وجعل القبعة غطاء الرأس لجميع أفراد الشعب التركى . . كما أصدر قانونا بإلغاء الرتب والألقاب ، واكتفى بأن جعل لكل عائلة لقبا تعرف به ، وبذلك عرف باسم « أتاتورك » أى والد تركيا

حقا : لقد كان مصطفى كمال ، والد تركيا ، وزعيمها الأكبر ، فإليه يرجع الفضل فى نهضتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فهو الذى جدد معالمها ، وخلقها خلقا آخر ، وجعلها من أقوى الدول الشرقية

ومما عرف عنه ، أنه كان يكره أن يعزى إليه كل الفضل فى بناء صرح النظام الجديد ، بل يعزو نجاحـه إلى وطنية الشعب التركى ، وإخلاص رفاقه القائمين معه بأعباء الدولة ، وكان يكره أيضـا أن يوصف عهده « بالـكمالى » ، أو أن يقال إن الشعب التركى ينتمى إلى الحزب الـكمالى ، وذلك لأنه يعتقد أن ليس فى البلاد حزب كمالى ، وحزب غير كمالى ، لأن الشعب كله حزب واحـــد ، هو حزب الوطن ، يسعى لخير الأمة ، ويعمل على رفع منارها

ولقد كان للأتراك فى مصطفى كمال ثقة عمياء ، وقد سئل أحدهم عنه مرة فقال « إنه صفوة الرجولة التركيـة ، ونموذجها

مجال الدعوة الاسلامية

يجب أن يشمل المجموعة البشرية

للاستاذ أحمد عوض

مهداة إلى الأستاذ سيد قطب

كان من أثر الاستعمار في البلاد الإسلامية أن سلبها حريتها ، وألزمها خطة الانطواء على النفس ، وركز فيها سوء الظن ، وحرمها مزية التعاون ، وكفها عن نشر دعوة الزمهم دينهم نشرها ؛ هي دعوة الإسلام

والإسلام دين لم يخص من الناس فريقا دون فريق ، ولا عنى بطائفة دون أخرى ، وإنما أنزل على قوم كلفوا بأن يوسعوا مجاله بنشر تعاليمه حتى تشمل الكافة . وعلى كل من ينضم إليه أن يشارك السابقين إليه في الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالجدل بالتي هي أحسن

لكن الدعوة إلى تعاليم عالية تستلزم أول ما تستلزم ضروبا من الحريات ، منها حرية الكلام ، وحرية الاجتماع ، وحرية العقيدة

وهذه الحريات جميعا وسائر الحريات كبحها الاستعمار وبخاصة ما كان منها مؤديا إلى دعوة عالية ، فالاستعمار منفعة خاصة أساسها أنانية المستعمرين على حساب حريات الإنسانية العامة .

وفرط المسلمون في حق أنفسهم وحق دينهم بما أهملوه من التسلح بكافة الأسلحة ، معنويها وماديها ، فغلبهم المستعمرون على أمرهم ، وكبتوا مشاعرهم ذلك الكبت الذي لم يصل وإن يصل إلى أصل العقيدة ، ولكنه وصل إلى وسائل نشرها ، فلم يقو الأستعمار على رغم بطشه وظلمه على انتزاع الاسلام من الصدور ، ولكن قوته كانت كافية لمنع المسلمين من توسيع مجال الدعوة إليه ، وهذا ركن أساسى فيه

واكتفى المسلمون قرونا بالتحدث عن مزايا الاسلام بين المسلمين ، حديثا ما دام بين مسلم ومسلم ، فهو لا يشرح العقيدة الفروغ بين المسلمين من اعتقادها ، وإنما يشرح الطقوس والشكليات ، لأن هذه هي التي يحتاج الفروغ من أمر عقيدته الاسلامية إلى الاستزادة من معرفتها . وبذلك أصبحت الدعوة بين المسلمين قاصرة على العبادات والمعاملات ، وهي عظيمة الشأن ما في ذلك من شك ، ولكن روح الاسلام وأهدافه الجامعة — وهي التي من أجلها أنزل — أصبحت مهملة ، لأن الكلام في الدين أصبح بين مفروض فيهم التمتع بها ، بتلك الروح والمعرفة بهذه الأهداف

لكن لا هذه ولا تلك ولا المعاملات ولا العبادات ولا أي شيء في الحياة يمكن أن يصل إلى كماله أمام العقبات التي أوجدها الاستعمار من كبت الحريات ، ومن نشر الجهل والمرض والفقر

والآن وقد أكلت النار نفسها حين لم تجد ما تأكله ، وتناقصت قوى الغرب المستعمر بما تناقص إيمانه بالله وتمسكه بالفضائل ، فأصبح لا يكاد يستقر في حكم نفسه حتى يستقر في حكم المستعمرات . والآن وقد أحس المفكرون في الغرب بأن الحضارة التي أقاموها على الماديات توشك أن تنهار ، فقد انتقمت الفضائل المهملة لنفسها ، وتزعزعت عقائد الماديين بالمادة ، وبشر الاسلام بنفسه حين أكره المسلمون على الكف عن التبشير له

والآن وقد بدأ المسلمون يستروحون نسيم الحرية بما أضعف خصومهم ، فانصدعت قيودهم ، واتسعت حدودهم ، فإنهم يجدون في الغرب عقائد دينهم تمشي على أقدامها هي لا على أقدام المسلمين . وللفكرة أقدام وأيد ولها أيضا أجنحة ، ولئن

المعصوم عن كل خطأ » لقد كان مصطفى كامل زعيما وطنيا مخلصا ، أحيا وجاهد ، وأصلح وشرع ... » ولم يكن رجلا من رجال المصادفة والحظ ، رفعه إلى البطولة خلو الميدان ، وبدفعه إلى الزعامة غباء الأمة ، وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذي يوشك أن يضل ، والحيوية للشعب الذي يأبى أن يموت ... »

الاسكندرية — عبد الباسط محمد حسن

أهملنا أن نعطى من مزايا الاسلام ، فقد أكره الغرب وإن لم نعطه منها على أن يأخذ هو ، وشتان بين أخذه من ماديتنا ذلك الأخذ الذى ينتقص من تلك الماديات ، وبين أخذه من معنوياتها ذلك الأخذ الذى يزيدها ويباركها ، والدين كالعلم يزيد مع كثرة الإنفاق ، والآن أمام هذا كله أصبح فى الغرب من يبشرون بالاسلام ، أو بركن من أهم أركان الاسلام ، هو نواحيه الخلقية ، ودائرته الجامعية ومساواته بين الخلق كافة فى الحقوق والواجبات ، ودعوته إلى السلام ، وتحريمه الحرب إلا دفاعا

بدأنا نتحرر ، وبدأنا نستطيع استئناف ما وجب علينا ، ولا يزال مستمر الوجوب من الدعوة إليه ، فهل يقضى المنطق بأن نصحح أخطاء الداعين دعوتنا ، ونكمل النقص إذا كان هناك ثمة خطأ أو نقص ، أم نظل نحن المنوطة بنا رسالة الدين من بين المدعوين المستمعين ، أم نظل مقتصرين على الدعوة للاسلام بين المسلمين ؟

ماذا يجب على المفكر المسلم الملم بلغات الغرب حين يقرأ فى تلك اللغات دعوة إلى مبادئ دينه ؟ أيناهضها لأنها « من الخارج » أم يدعو الداعين ويجادلهم بالتى هى أحسن

ليس هناك إسلام أجنبى ، بل ولا إسلام عربى ، وإنما هناك رسول عربى بكتاب عربى من عند «الله» ، كلف المسلمون أن ينشروا تعاليمه فى أرجاء العالم الفسيح، ومن أركان الإسلام : الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا

نعم ونعم هى ، ولكن الاسلام الذى هذه أركانه والذى كتابه قرآنه ، قد نص على سبب نزوله ، وهو الهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ونبيه المبعوث بين سبب بعثته بأنها إتمام مكارم الأخلاق

وبعد فالحركات القائمة فى أوربا وأمريكا لنشر فضائل الدين الاسلامى ، لا تهدف إلى مزاحمة ديننا ، وليست مذهبا فى هذا الدين ، وهى لا تزيد فيه ولا تنقص منه ولا تبتغى التأويل ، وإنما القوم قد أسرفوا فى مادياتهم واستمزوا بها ، ومن استمز بشئ أورثه الله ذله ، فاتجهوا إلى الدين ، إلى دينهم أولا فوجدوا من الهداية بالمحبة والتسامح والتضحية ، ولكنهم فطنوا بعد ذلك إلى أمور نص الاسلام فيها أصرح وأوضح ، فالاصلاح المنشود سبيله فى الاسلام التغيير . تغيير المرء ما بنفسه حتى يغير الله ما به . ولئن دعاهم السيد المسيح فيما ينص عليه إنجيلهم أن على الذى يحبه أن يحمل صليبه ويتبعه ، فإن القوم قد لهجوا بالآية القرآنية

ولئن فطن القوم إلى أن علة شقائهم هى التنازع فيما بينهم على المستعمرات ، والعداوة التى وجهها العالم اليوم سببها التنازع بين الطبقات وبين الألوان وبين الأديان ، فقد لهجوا بما نص عليه القرآن من أن أفضلكم عند الله أتقاكم ، وما نص عليه مبعوث هذا الدين من أنه لا فضل لحر قرشى على عبد حبشى إلا بالتقوى وقام فيهم من يدعو ، لا إلى اعتناق الأسلام على صورة غير صورته ، ولا إلى نسبة شئ إلى الاسلام ليس فيه ، ولا إلى إخراج لفظ فى الاسلام عن معناه ، بل إلى روح الدين وإلى الفضائل الشائعة بينه وبين سائر الأديان

ولكنهم أخذوا بعضه ، فهل ندلهم على باقيه ؟ أم لا نزال بأنفسنا من أثر الاستعمار بقية تلزمنا الانطواء على النفس ؟

إنهم يريدون محاربة الشر بمثل سلاحنا ، بسلاح الخلق . فهل نحارب الشر معهم به ؟ قبل أن ننطق بالجواب يجب أن نسائل أنفسنا ، أين منا موضع الدعوة ومن الذى ندعوه وكيف ندعوه ؟

ليس فى أمريكا ولا أوربا إسلام أمريكانى ولا أوربى ، وإنما فيها اليوم أكثر من دعوة لنشر فضائل الدين الاسلامى ولكن فى مصر وفى سائر البلاد الاسلامية من يهملون الدعوة إلى الاسلام تاركين هذا الواجب لدخلاء عليه مستغلين له مسخرين لغايات استعمارية ابتغاء منفعة شخصية كما قال بحق الأستاذ سيد قطب فى افتتاحية العدد الأخير من الرسالة

هؤلاء يجب أن يحاربوا ولكن يجب أن نفرق بين هؤلاء وبين الداعين مخلصين لمبادئ إسلامية لم يجدوا غيرها وسيلة لمحاربة المادية ، استعمارية كانت أو شيوعية ، ولانتشال المدنية مما جنى عليها من المطامع الأشعبية

أحمد عوضه

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ٣ —

أما الأوضاع الاجتماعية في الشرق العربي فقد شغلت الشاعر شغلا عنيفا حتى أتعبته ، فقد دار بعينيه فيما حوله فوجد العطب يدب في كل مكان ، والظلم يخنق الرقاب بقيد حديدي ثقيل ، وقد تعددت مظاهر الفساد ، فلم تقتصر على شكل واحد ، واختلفت أماكن الداء فلم تخيم في بقعة واحدة ، ولكنها سلاسل ممتدة مشدودة ، لا تجد الرقاب والأيدي والأرجل منها بعض الفكاك ، والجواهري لايفرد النواحي الاجتماعية بقصائد خاصة تكشف عن مساوئها الخاطئة، بل يقرن الشغب السياسي بالفوضى الاجتماعية في قصائده الملتهبة، فلولا الانحطاط الاجتماعي الشائن في الشعوب المحتلة ، ماوجد المستعمرون وأذنابهم ماء عكرا للصيد، ولولا فساد الساسة وأنانية القادة مارزحت الدول تحت كابوس ثقيل من الجهل والمرض والحرمان ! وكان شاعر الفرات يتأوه تأوها مريرا لما تقابل به صيحاته من دس واتهام ، فقد علم المستعمر أذنابه أن يقاوموا حركات الإصلاح في كل شعب ، فكل ناصح مخلص ثائر مخرب ، وكل مدافع عن دينه ووطنه هدام ثوري يدين بالمبادئ الخطيرة المتطرفة ، حتى التبس الأمر على السواد ، ودفعهم الجهل إلى التردد في قبول النصائح وإحلالها محلها اللائق من القبول والانصياع .

فالوعي بغي والتحرر سبة ... والهمس جرم والكلام حرام
ومدافع عما يدين مخرب ... ومطالب بحقوقه هدام

وقد كانت الشيوعية — ولازالت — أقرب تهمة وأيسرها على المحتلين وأشياعهم ، فما يكاد أحد في الشرق العربي ينطق بكلمة في الإصلاح ، حتى يتهم اتهاما خطيرا بما لا يقصد إليه بحال ، واضطر الساسة جريا وراء مآربهم الذاتية أن يربطوا عجلتهم الضعيفة الوانية ، بعجلة إنجلترا القوية السريعة ، ووقف الدب الروسي رمزا للخوف والهلع والإزعاج ، كأن الأسد البريطاني المتوحش لايؤذي أحدا من الضعفاء مع أن ضحاياه في الشرق من تسعين عاما قد ملأت المقابر بالأشلاء ، والطرق بالدماء . ولايزال المغرضون يفيئون إلى حنانه الكاذب وعطفه المزعوم .

شدوا بذيل غراب أمة ظلمت ... تطير إن طار ، أو تهوى إذا وقعا
وخوفوها بدب سوف يأكلها ... في حين تسعين عاما تألف السبعا
وضيقوا أفق الدنيا بأعينها ... بما استجدوه من بغي وما ابتدعا
وذاك معناه أن بيعوا كرامتكم ... بيع العبيد بتشريع الحكم شرعا

ورغم هذه التهم الكاذبة شق الشاعر طريق الإصلاح في صلابة وإيمان ، وقد حارب ببراعة المكافح في جبهات متعددة ، وحمل الشعل في يده يطارد الظلام في كل مكان ساخرا بالعواصف ، متحديا جميع الصعاب !

ففي جهة أولى يقف أمام الفقر فيحلل أسبابه ، ويكشف عن علله ، ويرمي بنظره في هذه الكتل المتراصة في الشوارع وقد كساها الجوع لباسا أصفر شاحبا ، هزيلا تمد الأيدي السائلة وتتبع الفتات في القمامات كما تتبعه الحيوانات ، وتقف أمام القصور الشامخة منحنية ذليلة تتطلب الكفاف مما يرمى إلى الكلاب المدللة !! وقد مسح الفقر من نفوسها معاني الكرامة والعزة والإباء ، وفي داخل القصور المرددة نفوس تبترد بالخمور، وتتجمل بالحلي والعطور ، وأخونة تمتد بالطيبات من المطاعم ، وليالي حمراء مرنة بالقصف والرقص ، مغردة بألحان الفتيان ، مضيئة بوجوه الكواكب الحسان ! فشتان بين أولئك وهؤلاء

عجبت لخلق في المقادم رازح ... يقدم ما تجني يداه لغانم
وأنكأ من هذا التغابن قرحة ... غباوة مخدوم وفطنة خادم
لواطلعت عيناك أبصرت مأتما ... أقيم على الأحياء قبل المآتم

إذا أقبل الشيخ المطاع وخلفه
من الزارعين الأرض مثل السوائم
قياما على أعتابه يطرونه   خنوعا وذلا بالشفاه اللوائم
حنايا من الأكداح تلقى ظلالها
على مثل جب باهت النور قاتم
أمبتردات بالحور تثاءبت   وبالماء يغلى بالمطور الفواعم
ومفترشات فضلة فى زرائب   يوسدها ما حولها من ركائم
أمن كدح آلاف تفيض تعاسة   يتم فرد بالنعيم اللازم
سياسة إقفار، وتجويع أمة   وتسليط أفراد جناة غواشم

وفى جهة ثانية يحارب الجهل فيعلن أنه أس المصائب وشر لحن، فلولاه ما نهش الجوع نهشا فى النفوس الكادحة، ولولاه ما حيكت الدسائس والمؤامرات للشعوب فى ظل من الخداع والابتسام، ولولاه ما وطد المستعمر قلاعه وأقام بناءه الراسخ، ولولاه ما أقفلت المصانع والمتاجر وأصبحت الوظيفة الحكومية مناط الآمال ومبعث الرجاء، ولولاه ما قيدت الجوع اللاغبة حفاة عراة لراكب، ولولاه ما حاز أشباه الجهلة من المتعالمين أسمى المناصب وأعظم الألقاب، ولولاه ما كت الأفواه الناطقة، واحتجزت الألسنة الصارخة عن كشف المثالب والهنات!! وأخيراً لولاه ما تدهورت الشعوب العربية إلى ما انحدرت إليه من ذلة وهوان

غزا الجهل أرض الرافدين فخلها
كثير السرايا مستجاش الكتائب
طليعة جيش للمصائب هددت   كرامته، والجهل أم المصائب
وما خير شعب لست تعثر بينه   على قارئ من كل ألف وكاتب
تمشى بجر الفقــــر ردفا وراءه
وأتعس بمصحوب وأتعس بصاحب
فكان لزاما أن تحوز عصابة   تزيت بزى العلم أعلى الرواتب
وكان لزاما أن تتم سيادة   عليه لأبناء الذوات الأطايب
وكان لزاما أن تعطل صنعــة
وأن يصبح التوظيف أعلى المكاسب
وكان لزاما أن تقاد جموعه   حفاة عراة مهطعين لراكب
وأوجع ما يصمى الغيور مقاصر
أطلت على محجورة فى الزرائب
يبين على الحيطان شرخ نعيمها   وتغمرها اللذات من كل جانب
وتحيا ليالى الرقص فيها خليعة
تكشف عن سوق الحسان الكواعب
وتلك من الإدقاع تفترش الثرى   يلاعب جنبيها دبيب العقارب

والجواهرى قد حارب الجهل كما تقدم محاربة عنيفة، يحمل سوطه فى يده ويهوى به على النشء المثقف من المتعلمين! فيعجب القارئ بادئ ذى بدء لهذا الثائر الذى لا يرضى عن أحد، ولكنه ينصت للشاعر فيجده صاحب حق فى جميع أقواله، فلا تناقض بين ما يقوله فى شىء، إذ أن النشء المثقف فى العراق وغيرها لم يحققوا الآمال المعقودة عليهم فقد رأوا كثيرا من الخرافات فلم يجلوا ظلامها الحالك عن النفوس، وشهدوا الأوضاع الظالمة — فى عالم السياسة والاجتماع — فلم يحاولوا أن يقفوا أمامها وقوفا يذودها بالتصدع والانهيار، بل ربما ساروا فى ركابها سيرا مشينا، وقذفهم التيار إلى لججها الزاخرة، فهزوا مع الغواة وأساموا مسروح اللهو حيث أساموه، والشاعر يرجع ذلك كله إلى التربية نشأ عليها التلميذ فى مدرسته، فقد وجد من الأساتذة من لا ينير طريقه ويكشف ليله، ومن المناهج قشورا بالية يعنى وضعها المستعمر، فليست تقوم خلقا أو تحيى كرامة، بل تخلق فتى مائعا يعنى بهندامه كملبسه، ويتشبه بالنساء فى عطوره وزينته، ويمشى متخاذلا مدللا تغمره الأحاسيس الناعمة. وتقوده العواطف الرقيقة وقد يتناسى رجولته فيلجأ إلى التخنث والتبذل والعربدة، فخطرات النسيم تجرحه، ولمس الحرير يكلم راحته، وقد مات شعوره فلم يفكر فى ضحايا قومه، وصرعى معشره، كأنه ليس منهم وليسوا منه! فيصير هؤلاء المماسيخ المشوهون خلقا وعقلا معقد آمال ومبعث حياة، أم يسيرون بأمتهم إلى الوراء مئات الأميال، ويهوون بها إلى الحضيض السحيق فى أغوار الظلام!

هلمو إلى النشء المثقف واكشفوا
حجابا يغطى نفســه وقناعا
تروا كل مفتول الذراعين ناهدا   قصيرا إذا جد النضال ذراعا
وكل أنيق الثوب شد رباطه   إلى عنق يمشى العيون لماعا
يموع إذا مس الهجير رداءه   كما انحل شمع بالصلاء فماعا

تراه خلى البال أن راح داهنا ... وأن قد ذكا منه الأريج وضاعا
وليس عليه ما تكامل زيه ... إذا عرى الخلق الكثير وجاعا
وأن راح سوط الذل يلهب أمة ... كراهية يستاقها وطواعا
ولم تشجه رأيا وسمعا قوارع ... يسوء عيانا وقعها وسماعا
ورب رءوس برزة عششت بها ... خرافات جهل فاشتكين صداعا
بها نومتنا الأمهات تخوفا ... وما أيقظتنا الحادثات تباعا

وكما حنق الجواهرى على المثقفين من بنى وطنه ؛ حنق على بعض رجال الدين من ذوى المثانين الممتدة ، والعذبات الطويلة ، إذ أن رجل الدين الصادق فى رأيه هو الذى يغير المنكر بيده ولسانه وقلبه ، فيكون ثائرا إن دعا الأمر للثورة ، وصائلا حين يتحتم الصيال ، وقد تزيى بلباس الدين أقوام من مشايخ الطرق وأصحاب الأذكار والأوراد ، وهم لا يفهمون قليلا عن روح الشريعة ولباب الإسلام ، وصادفوا من العامة ثقة غالية ومنزلة رفيعة لحرفوا الكلم عن مواضعه ، وابتدعوا البدع ابتداعا ، وجسموا الأوهام تجسيما يدعو إلى الذعر والهلع ، ومسخوا روح الدين من النفوس ، وساعدوا الطغاة والآثمين ، فكانوا مطاياهم السريعة فى التنويم والتخدير ، وزاد الكارثة هولا أن هؤلاء الأدعياء لا يتورعون عن الآثام فى حقير أو جليل ، فهم يقترفون الموبقات ، وينتهكون المحارم ! ويتصيدون الرشى والأموال من سبل مريبة ، حتى فاح النتن الآسن منهم على الناس ، ولابد لهذه الشرذمة من نقد عاصف يكشف زيفها الحائل ، ويطمس بريقها الأخاذ ، فاندفع الجواهرى يندد بهم فى قصائده الثائرة كأن يقول

تحكم باسم الدين كل مذمم ... ومرتكب حفت به الشبهات
وما الدين إلا آلة يشهرونها ... إلى غرض يقضونه وأداة
وخلفهمو الأسباط تترى ومنهمو ... لصوص ومنهم لاطة وزناة
وما كان هذا الدين لولا ادعاؤهم ... لتمتاز فى أحكامه الطبقات
أنجبى ملايين لفرد وحوله ... ألوف عليهم حلت الصدقات
وأعجب منها أنهم ينكرونها ... عليهم وهم لو ينصفون جباة

والشاعر لا يترك سبيلا للتنديد بهم إلا سلكه وأوغل فيه ، ولو لم تكن مناسبة الكلام قوية ملحة ، فعندما احتفلت البلاد بالذكرى الألفية لأبى العلاء المعرى ، وذهب الشاعر إلى دمشق ليلقى قصيدته باسم العراق ، لم يشأ أن يقصر الحديث على روائع الفيلسوف وآثاره ، بل حلل آراءه الاجتماعية تحليلا شعريا يمس اللباب الخالص ، ويشع مومضا بمختلف الإيحاء والإلهام ، وكأن شاعر الفرات يجد الراحة الهانئة فى التنفيس عن مشاعره الممتزجة بمشاعر أبى العلاء ، والناس هم الناس فى كل زمان ومكان ، فما أغضب المعرى من أوضاعهم الشائنة قد أغضب الجواهرى بعد ألف عام !! وكان لأدعياء الدين نصيبهم الوافر من النقد والتجريح ، فحفلت قصيدة الجواهرى بقوارس لاذعة تسيل دماءهم وتحطم كبرياءهم ، وتوغر صدورهم ، وما عليه وقد وافق أبا العلاء فى رأيه ، وجرى معه فى سنن واحد حين أهدى إلى روحه هذه الأبيات

وهؤلاء الدعاة العاكفون على ... أوهامهم صنما يهدونه القربا
الخابطون حياة الناس قد مسخوا ... ماسن شرع وما بالفطرة اكتسبا
والفاتلون عثانينا مهرأة ... ساءت لمحتطب مرعى ومحتطبا
والملصقون بعرش الله مانسجت ... أطماعهم بدع الأهواء والريبا
والحاكمون بما توحى مطامعهم ... مؤولين عليها الجد واللعبا
على الجلود من التدليس مدرعة ... وفى العيون بريق يخطف الذهبا
أوسعتهم قارصات النقد لاذعة ... وقلت فيهم مقالا صادقا عجبا
صاح الغراب وصاح الشيخ فالتبست ... مسالك الأمرأى منهما نعبا

يتبع

محمد رجب البيومى

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للاستاذ عبدالقادر رشيد الناصرى

— ٢ —

اطلع القراء فى العدد السابق من الرسالة الغراء على درة من درر شوقى التى تجمع إلى أخواتها فى دواوينه الأربعة المطبوعة ولم تضم إلى شعره المتداول بين أيدى القراء فى جميع البلدان الناطقة بالضاد ، وكنت وعدتهم فى ذيل مقالى السالف أن أقدم لهم فى هذا العدد شوقية أخرى من تلك الشوقيات الفذة التى لم تتفتح عنها غير قريحة أبى على ، وهذه القصيدة الجديدة عثرت عليها فى مجلة أدبية قديمة يرجع تاريخ صدورها إلى سنة ١٩٢٨ أيضاً. أما اسم المجلة فلا أعرفه لأن أكثر صفحاتها الأولى والأخيرة كانت ممزقة ، وأما كيف عثرت عليها فتفصيل الخبر أننى كنت فى يوم من الأيام فى سوق الوراقين ببغداد أنقب بين الصحف القديمة التى تعرض للبيع بالأكوام فلفت نظرى صديق إلى مجلة ممزقة كانت بين يديه وهو يشير إلى بعض بحوثها فلما أخذتها منه وتصفحتها عثرت فيها على قصيدة أميرنا مدرجة . وكم كان سرورى عظيما عندما راجعت دواوينه فلم أعثر لها على ذكر ! فقلت فى نفسى هذه هدية قيمة لا تستحقها إلا مجلة الأدب الرفيع والشعر الخالد حيث تقدمها إلى أبناء العروبة

والقصيدة كما يراها القراء لا تختلف فى كثير أو قليل من شعر شوقى من جميع النواحى ، فالديباجة ديباجته ، والأسلوب أسلوبه ، والنفس واحد ، والصور والتراكيب والتعابير والموسيقى اللفظية واللفتة الشعرية البارعة كلها له ، وهى فوق كل هذا قصيدة عالية مشرقة بالرغم من أنها من بحر الرمل ، ذلك البحر الذى لا يجيد فيه من حيث متانة تركيب الأبيات إلا القادر من فحول الشعراء . ولا أذكر أننى — على كثرة قراءاتى للشعر — وقفت إلى شاعر نظم قصيدة من بحر الرمل وأجاد فيها أو أظهرها بديباجة متينة اللهم إلا شوقى ، لأن هذا البحر على الرغم من سهولة النظم فيه لابد أن تأتى القصيدة فيه ركيكة مهلهلة الأبيات كما يحدث عند الكثير من الشعراء . لذلك يتجنب الفحول النظم فيه على العكس من البحور الأخرى كالكامل والوافر والبسيط حيث تأتى الأبيات قوية التركيب متينة الأبيات كأنها البنيان المرصوص . وأذكر أننى فى بدء نظمى الشعر كنت لا أقوله إلا على بحر الرمل لسهولته، ولكننى تركته بعد ذلك ولم أعد ألجأ إلى النظم فيه إلا ما ندر ؛ حتى الموشحات الغنائية التى أكثر من النظم فيها فإننى أترك الرمل والنزم مجزوءه — نظرا للايقاع الموسيقى الذى فيه والجرس الراقص ، أما شوقى فهو حتى فى هذا البحر يبدع ويجيد — خذ مثلا قوله

ارفعى الستر وحيى بالجبين	وأرينا فلق الصبح المبين
واتركى فضل زماميه لنا	نتناوب نحن والروح الأمين

ألا يرى معى القارئ القوة والمتانة التى تتخلل الأبيات على سهولتها وعذب موسيقاها ؟ أيستطيع أحد مهما بلغ من المقدرة البيانية والبلاغية ومطاوعة اللغة والقوافى له أن يضع لفظة بدل أخرى ؟! أنا أشك فى ذلك لأن الفحول من الشعراء عندما ينظمون حتى على هذا الوزن لا يتركون فيما يقدمونه مغمزا لناقد فيه ! وهكذا الحال عند شوقى على خلاف غيره من شعراء عصره .

قد يطول بنا القول إذا نحن قارنا بينه وبين غيره لأن المفاضلة والموازنة تحتاج إلى إيراد أمثلة تخرجنا عن الموضوع الذى نطرقه الآن ، لذلك نترك ذلك الحديث إلى مجال آخر وعسى أن يكون ذلك فى القريب

قلت فى بدء الكلام إن القراء نشقوا فى العدد الماضى عطر باقة من أزهار أبى على . ويسرنى الآن أن أتحفهم بإضمامة أخرى قطفتها لهم من روضته وهى كما يرون نفحة عبقة ككل شعره المعطر الندى ، تزول جدة الدهور ولا تزول جدتها ، فان كان الورد لا تتفتح أكمامه إلا فى الربيع ولا يعبق نشره إلا فى أيار، فان شعر شوقى فواح الأريج فى كل الفصول . فلنستاف إذاً شذاه المواد

الشوقية الثانية

وهذه العصماء الثانية قالها شوقى فى جمعية الشبان المسلمين حيث ألقيت فى حفلتها التى أقيمت بدار الأوبرا الملكية فى ١٤ شوال من عام ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

لم يضع صاحب المجلة عنواناً للقصيدة ولم يذكر المناسبة التى قيلت فيها ولكن القارئ يدرك من فحواها أنها نظمت لأجل جمع الإعانة لدار الأيتام التى قامت ببنائها الجمعية المذكورة على حد قوله :

ياشباباً حنفاء ضمهم منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى وينجيهم من المرعى الوبيل

أو قوله

رب عرس مر للبر بها ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام فى ليلته ومشى يستروح البرء العليل
والتقى البائس والنعمى به وسعى المأوى لأبناء السبيل

ومن أحق بالرعاية من اليتامى وأبناء السبيل ؟ ومن غير شوقى من شعراء عصره يستطيع أن يلهب أكباد الأثرياء حماسة ويضرب على المواطن الحساسة من شعورهم فيجودوا لهذا المشروع النبيل بالمال عن طيب خاطر ؟

إذن لنستمع إلى صناجة القرن العشرين وهو يوقع على أوتار قيثارته أغاريد الخير والحق والحنان ، فى أسلوبه الموسيقى المشرق ونغماته العذاب إذ قال فى ...

مهرجان اليتيم

حبذا الساحة والظل الظليل وثناء فى فم الدار جميل (١)
لم تزل تجزى به تحت الثرى لجة المعروف والنيل الجزيل
صنع « إسماعيل » جلت يده كل بنيان على الباني دليل
أتراها سدة من بابه فتحت للخير جيلا بعد جيل

° ° °

ملعب الأيام ، إلا أنه ليس حظ الجد منه بالقليل
شهد الناس به « عائدة » وشجى الأجيال من « فردى » هديل (٢)
وائتلفنا فى ذراها دولة ركنها السؤدد ، والمجد الأثيل
أينعت عصراً طويلا وأتت دون أن تستأنف العصر الطويل
كم ضفرنا الغار فى محرابها وعقدناه لسباق أصيل
كم بدور ودعت يوم النوى وشموس شيعت يوم الرحيل

° ° °

رب عرس مر للبر بها ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام فى ليلته ومشى يستروح البرء العليل
والتقى البائس والنعمى به وسعى المأوى لأبناء السبيل
ومن الأرض جديب وندٍ ومن الدور جواد وبخيل

° ° °

يا شباباً حنفاء ضمهم منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى وينجيهم من المرعى الوبيل
اذهبوا فيه وجيئوا أخوة بعضهم خدن لبعض وخليل
لا يغرنكمو قلته كل مولود وإن جل ضئيل

* ° *

أرجفت فى أمركم طائفة تبع الظن عن الإنصاف ميل (٣)
اجعلوا الصبر لهم حيلتكم قلت الحيلة فى قال وقيل
أيريدون بكم أن تجمعوا رقة الدين إلى الخلق الهزيل ؟
خلت الأرض من الهدى ومن مرشد للنشء بالهدى كفيل
فترى الأسرة فوضى وترى نشئاً عن سنة البر يميل
لا تكونوا السيل جهماً خشناً كلاعب ، وكونوا السلسبيل
رب عين سمحة خاشعة روت العشب ، ولم تنس النخيل

° ° °

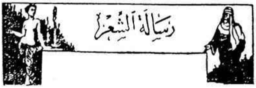
لا تماروا الناس فيما اعتقدوا كل نفس بكتاب وسبيل
وإذا جئتم إلى ناديكم فاطرحوا خلفكمو العبء الثقيل

* ° °

١ — الدار يقصد بها الأوبرا الملكية

٢ — عائدة — أسطورة مصرية قديمة مستقاة من تاريخ مصر وقد نظمها مسرحية غنائية ووضع ألحانها الموسيقار « فردى » الايطالى

٣ — ميل = الانحراف عن جادة الصواب



الشاعر

أنت حب ورقة وحنان ... ومن الحب عبقرى الغناء

« تهدى إلى الكاتب الكبير الذى أغار الشعر من النثر ، بما أراق عليه من عطر ، وأشاع فيه من سحر ، الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات بك » « أنور العطار »

للأستاذ أنور العطار

واهب عاش خالد الأصداء ... غمر الكائنات بالنعماء

هذه ليلتكم فى « الأوبرا » ... ليلة القدر من الشهر النبيل

مهرجان طوف « الهادى » به ... ومشى بين يديه « جبرائيل »

وتجلت أوجه زينها ... غرر من لمحة الخير تسيل

فكأن الليل بالفجر انجلى ... أو كأن الدار فى ظل الأصيل

أيها الأجواد لا تجزيكمو ... لذة الخير من الخير بديل

رجل الأمة يرجى عنده ... لجليل العمل ، العون الجليل

إن داراً حطتموها بالندى ... أخذت عهد الندى أن لا تميل

إلى هنا تنتهى القصيدة ويبدو فيها شوق مرشداً ينصح شباب الجيل بعدم الطعن فى العقائد لأن الطائفية من شأنها التفرقة ، والأمة لا تستطيع الوثوب إلى الأمام ومماشاة ركب النهضة إلا بالاتحاد ، وأن الأمة التى لا تستطيع أن تهذب أبناءها وتجد لهم سبل العيش والثقافة ما هى إلا أمة مقضى عليها لا محالة وخصوصا إذا جمع أبناؤها « رقة الدين إلى الخلق الهزيل » لأن « الأمم هى الأخلاق » ولله دره حين يقول :

وليس بعامر بنيان قوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابا

فشوقى إذن هنا مصلح اجتماعى يلبس مسوح الوعاظ ليقدم نصائحه ، وهكذا يجب أن يكون الشاعر الإنسانى حيث يؤدى رسالته على الوجه الأكمل

عبد القادر رشيد الناصرى

لله‌وى قلبه ، وللشجو عينا ... ه ، وللعالمين سحر الحداء

طافت الأرض فى رؤاه تصاوير ... ر ندايا بجدة ورواء

قيل لى صفه قلت : دنيا من الفن ... وكون من رنمة وازدهاء

ليس يدرى غير التسامح دينا ... فهو روح السخاء رمز الفداء

صاغه الله من حنان ورفق ... ودموع وصبوة ووفاء

صور الطبع خير من صور الطبـ ... ـع وفنى فى رقة وصفاء

يشرق البشر فى محياه نضرا ... ومن البشر أنفس الشعراء

ويرف المنى النبيل على الله ... ظ رفيف السنا على الأنداء

هو فى حالتيه قيثارة النجـ ... ـوى تسامت فى ضحكها والبكاء

تذر النفس أدمعا وشعوراً ... ولهيبا كوقدة الرمضاء

يا له ساحرا تمرس بالسحـ ... ـر وأربى عليه فى الإغفاء

إن تغنى مسترسلا ملك الأر ... واح حتى تغيب فى الإصغاء

كل معنى مثل الطبيعة باق ... والمعانى مناجم الحكماء

٭ ٭ ٭

ياصدى الأنفس اللهيفة ياحا ... مل عبء الهموم والأدواء

تنقل البرء اللأُلى نشدوا البر ... ء وفى القلب عالم من رثاء

هكذا الأنفس الكبيرة تحيا ... لسواها فى فرحة واحتفاء

فإذا رمت أن تكون سعيدا ... فتعهد مصائب الأشقياء

بسمات الحنان أفعل فى الأنـ ... ـفس من أى نائل وعطاء

تحيى الكائنات والفضل يبقى ... وهو إرث العلياء للعلياء

وإذا راعك القضاء بخطب ... فكن الثبت فى صروف القضاء

واحي للشعر والهوى والتمنى ... واصحب العيش بالرضا والرجاء

قل إذا اهتجت فى احتدام الليالى ... والتحام الأرزاء بالأرزاء :

أنا ما عدت أستسيغ بكائى ... مردت مرتى على البأساء

نقيت مهجتى من الوهن المز ... رى ولم تحفل الأسى حوبائى

ونفضت الإعياء عنى وصعب ... أن يعيش الفتى بلا إعياء

وتهزأت بالحياة ولاقيـ ... ـت الرزايا بالنظرة الشزراء

وتقحمت غايتى غير هيا ... ب صراع الدجنة السوداء

وهى النفس إن تثر تركب الصعـ ... ـب وتزحم مناكب الجوزاء

فاعصفى يارياح، هامتى اليو ... م تمرت عن صخرة صلداء

واصخبى واصرخى فلن تثلم الدهـ ... ـر اعتزامى ولن تفل مضائى

من هبوب السموم أنفاسى السحـ ـم ومن شعلة الشموس ردائى
ما أبالى الرمضاء وهى تلظى بالهجير يفرى حشا الغبراء
أنا من زأرة الأسود أناشيـ ـدى ومن جأرة الرياح ندائى
أنا هذى الصحراء فى قلبها الثو رات وفى عزمها من اللأواء
أنا دنيا من المهـــابة والعز م وكون يضج بالأنباء
لست أختار أن أكون تبيعا أنا أسمى والمجد يسعى ورائى
عربى النجار من ذروة الحز م ومن قمة العلى والإباء
يادموع الضعاف، خير وأبقى من شجا الدمع بسمة الأقوياء
ونعيم الحياة ملك الأشدا ء فواها المعشر الضعفاء

° ° °

غن ياابن الغمام والجبل المائـ ـم والطل والشذا والماء
غن ياابن الليل الموشح بالنو ر وياابن الضحى وياابن المساء
غن ياابن الوديان ياابن الينابيـ ـع وياابن السماء والدأماء
غن ياابن النجوم والقمر الما شـــق والسفح والربا الشماء
غن ياابن الفتح الذى انتظم الأر ض وأولى طرائف الأشياء
غن ياابن الماضى المضمخ بالمجـ ـــد وياابن العروبة العرباء
غن فالعالم الرحيب تسابيـ ـح هيامى من نشوة الإيحاء
صور الرحمة التى تغمر الكو ن بفيض الأنداء والآلاء
صـور الحب والحنان على الأر ض ونجوى الأصداء للاصداء
لطف كهذا الربيع نشوان فرحا ن غنى العبير جم البهاء
لح كهذا الصباح يختال جذلا ن يعم الأكوان بالأضواء
بأبى القـــلب ساميا بالمزايا بأبى الوجه طافحا بالحياء
بأبى العبقرية الفـذة البكـ ـر تلف الحياء بالكبرياء

° ° °

أنا نشوان من نشيدك هيما ن فهات اسقنى وزد فى انتشائى
هدهد القلب والهوى والأمانى بغنـــاء باق على الآناء
وطن أنت ظاعنـــا ومقيما لست والله بالغريب النـــائى
إنما الغـــربة التى ما تقضى غربة الفـكر والندى والعلاء
شاعر الخلد يا نشيد الأناشيـــد ويا روعة الأمانى الوضاء
لك لحن جم المناعم فيه راحة النفس والقلوب الظماء
هو فيض العقول والفطرة السمحـة وابن الطبيعة السمحاء
لا يغنى سوى الجمال ولا يعـ ـرف غير الحقيقـة الغراء
خيره كالربيع صـاف شهى طافح بالطيوب والأشـذاء
لم يزل ينشد الوضوح ويبغى الشعر خلوا من زخرف وطلاء
لك من روضه الظليل الندى مثـل ما للربيع مـن أفياء
عبق يغمر السموات والأر ض ويزهى بعطـرف وشـاء
حافل بالعبـــير آذار ندا ه وأغنى على البطاح الرواء
كل زهر فى الكون يذوى ويفنى غـير زهر القريحة الغناء
درج الليل والنهار حثيثـين وملامن روحة واغتداء
وأصاب الحيـاة عادى المنايا فتوارت عـن نفسها بخباء
وأطل البيان من رفرف الخـــلد عتيا على الردى والعفاء
لم يزل عطره يروح ويغدو وهو زاد الحيـــاة والأحياء
هو باق على امتداد الليـــالى والليـــالى هوالك ونوائى
هات يا شاعر النهى نبه القو م وحـــدث بالدمعة الحمراء
شاعر الحب شد قيثارة الشعـ ـر وغن الحمى لحون السماء
أيها الموقظ النفوس من الضـــيم ومردى جحافل البغضاء
انفح الكون بالمطاعم تترى فالمطيات نفحـــة المعطاء

° ° °

أيها العبقرى يا روعة الفـكـــر ويا رفرف السنا والسناء
أنت حب ورقة وحنان ومن الحب عبقرى الغناء
خالد أنت والعوالم تفـنى لا يذوق الخـلود طعم الفناء
أيها الشاعر الذى عاش لحنا وسرى كالعبير فى الأرجاء
زهر أنت يغمر الـكون بالعطـ ـر وحلم موشح بالضياء
يا نجى القلوب يا جدول البشـ ـر بسـفح الخميـــلة الفيحاء
منك صفت القريض لحنا شجيا وتفـردت فى بديـع أدائى
كرمتك الأجيال يا رفة الخـ ـلد وأولتك روضة من ثناء
فلئن صاغت القريض عقودا فبما صغت يا شعاع البقاء

* * *

هات منك البيان سمحا طروبا خيرا نيرا كقلب الفضاء
لا يوفى القصيد مهما تغنى ما دنانى تـكفى ولا صهبائى

أنور العطار

الكتب

دواوين الشعراء الستة الجاهليين

شرح الأستاذ عبد المتعال الصعيدي وتنسيقه

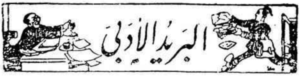
نشر مكتبة القاهرة سنة ١٩٥٢ . ص ٣٧٦ من القطع المتوسط

الدكتور زكي المحاسني

عناية الأدباء المحدثين بأدب لغتهم القديم دليل على أصالة ذلك الأدب . وإنما أمة اطرحت أصول أدبها فإنما هي قد جزت جذورها ، وأنكرت أنسابها ، فضاعت بين سمع الأرض وبصرها . وما شيء كان أجدر بالعناية في أدبنا العربي من الشعر الجاهلي ، لأن فيه نبعة التراث الروحي لأدب الأمة العربية . وهذا سر عكوف الأقدمين على دراسة هذا الشعر يجمعونه ويمحصون فيه ، ويروون قصائده ، ويروقون رواياتها . ولقد عاق التلهف على دراسة الشعر الجاهلي في الفترة الحديثة ما طلع به بعض الأدباء من إنكار لصحة هذا الشعر ، وما زعم الزاعمون من أن هذا الإنكار مرده دراسات لبعض المستشرقين . وإن الصواب الذي لا أرتاب فيه أن هذا الشك ذاته قد سبق الناس إليه الأصمعي وقد بان لي أن من عند الأصمعي كان مولد هذا الشك حين اختلفت لديه أبواب الرواية في الشعر الجاهلي ، واضطراب الأسانيد في بعض أنحائه . وقد ترك السبيل مفتوحة أمام ذوي الشك في الأدب خلو النصوص الجاهلية للشعر من التقييد الحجري . فلو أن شعراء المعلقات بديلا من أن تكتب لهم معلقاتهم على رقاق الغزلان بماء الذهب وتعلق على الكعبة قد نقشوها في الحجارة ، لما تركوا سبيلا لذلك الشك والارتياب الذي كدر علينا في فسحة من الزمن نقاء الشعر الجاهلي

إن الدكتور طه حسين حين أنكر الشعر الجاهلي سنة ١٩٢٦ كان كمن جاء إلى أسرة فيها الزوج الوقور والأم الحنون والولد المطيع ، وهم جميعا في خير وطمأنينة ، فقال للأبوين إن ابنكما هذا مدخول النسب . فالها قولة جارفة فأقض على الأسرة مضاجعها ، وهدم بناءها . ولم تكن أداته أكثر من شك وارتياب . ومن المحمود للدكتور طه حسين بعد ذلك أنه اعتلى منبراً في جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٥ سمعته وشهدته يقول من فوقه فيدلي باعترافات أدبية جديدة في أنساب الشعر الجاهلي الذي صح عنده أنه يمثل في تاريخنا الأدبي أدبا كلاسيكيا قديما . وقد أمسك بيده الأستاذ الفاضل عبد الوهاب حمودة قبل أن يغادر ذلك المنبر وصاح في الناس أيها الجامعيون إن طه حسين الذي أنكر الشعر الجاهلي يعترف به اليوم ويرد إليه اعتباره

هذه خواطر دارت بفكري وأنا أقلب كتابا حديثا فيه دواوين الشعراء الستة الجاهليين شرحه ورتبه صديقنا الأستاذ الجليل عبد المتعال الصعيدي . ومن المقطوع به أن يكون بدء الكلام على امرئ القيس وختامه على عنترة . وقد نسب شرح هذه الدواوين في أصلها إلى ثلاثة من علماء الأدب القديم أشهرهم الأعلم الشنتمري من سانتا ماريا بالأندلس . وفي عصرنا تناول هذه الدواوين بالشرح أحد فضلاء العلم في جامعة فؤاد الأول هو الأستاذ مصطفى السقا . حتى إذا حانت عناية الأستاذ عبد المتعال الصعيدي بالشعر الجاهلي أخرج هذا الكتاب بطبعة جديدة تضم هذه الدواوين بتناول ميسور . وعني بشرحها على صورة موجزة كثيرة الجدوى . فهو يعطيك في معنى البيت على استغلاق وجهه وغرابة لفظه ، شرحا موفيا للغرض من أقرب سبيل . وقد قدم لكل شاعر من هؤلاء الستة وهم امرؤ القيس فعلقمة فطرفة فالنابغة الذبياني فزهير فعنترة بنبذ يسيرة مكثفة ، ألم فيها بتاريخ الحياة ثم بلمحات ثابتة في دراسة الشعر وتحقيق الرواية . والذي كنت أتمناه عليه ، وقد يكون مطلوبا منه صنعه ، أن يكون قد كتب لهذه الدواوين مقدمة ، وإنما كتب تقديما في سطور . فهو لم يذكر رأيه في الشعر الجاهلي ، ولم يتناول قضية هذا الشعر ، وقد شغلت الناس زمنا في القديم وفي الحديث . كما لم يفضل شاعرا على شاعر وإنما قصر همه على الشرح وحده . وذلك ضرب من ضروب التأليف الذي عرف في عصرنا الحديث ولدى الأقدمين ، وقل شبيهه في الأدب عند الغربيين . فليس شائنا



المدرسة الصلاحية

حمل إلى بريد الكنانة الأخير هدية غالية من هدايا صديقنا الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكليـــة دار العلوم بجامعة فؤاد الأول وهى الجزء الأول من مؤلفه القيم « الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ولا أريد فى هذه الكلمة أن أذكر قيمة الكتاب من الناحية التاريخية لأن مثل هذا المؤلف الضخم الذى اعتمد علامتنا البدوى على أكثر من «٢٠٢» مرجع فى تأليفه يحتاج إلى دراسة طويلة وقراءة متقنة؛ وخاصة أن لهذا الجزء بقايا تحت الطبع، كما أننى لا أريد أن أعرف الأستاذ البدوى فهو غنى عن التعريف بمؤلفاته ومترجماته وبحوثه النادرة التى نشرها وما زال ينشرها فى الصحف ويذيعها على الناس. وقراء « الرسالة» الزاهرة لا شك يعرفونه جيداً ولكنى أحببت وأنا أقرأ كلامه عن المدرسة الصلاحية المنشور فى الصفحة (٤٣) من كتابه النفيس أن أضيف إليها هذه النبذة الموجزة التى نشرتها مجلة « الزهراء » فى الجزء السادس سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م وهى :

« هى مدرسة إسلامية أقامها السلطان صلاح الدين الأيوبى لفقهاء الشافعية منذ القرن السادس الهجرى وقد زارها رصيفنا السيد عمر الطيبى وقرأ على بابها الكبير منقوشاً فى الحجر السطور الخمسة الآتية

(١) — بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله

(٢) — هذه المدرســة المباركة أوقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام

(٣) — والمسلمين أبى المظفر يوسف بن أيوب بن شاذى محيى دولة أمير المؤمنين أعز الله

(٤) — أنصاره وجمع له خير الدنيا والآخرة على الفقهاء من أصحاب الإمام أبى عبد الله

(٥) محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه . فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

واستمرت هذه المدرســة إسلامية سبعمائة سـنة ، ثم سعى الفرنسيون سـنة ١٨٥٦ م لدى السلطان عبد الحميد بانتزاعها من أيدى المسلمين بحجة أنها كانت فى الأزمان القديمة كنيسة على اسم حنه أم سيدتنا مريم عليها السلام ، فأذن لهم السلطان عبد الحميد بأخذها ، وجعلها هدية منه إلى نابليون الثالث ، فاتخذها الفرنسيون داراً للتبشير بالمذهب الكاثوليكى

ولما أعلنت الحرب العظمى ووضع الترك أيديهم على ما

عندهم نشر ديوان للشعر مقصور على الشرح لألفاظه ، وإنما لديهم الناشرون من الأدباء الذين يكثر تناولهم الدواوين بالدراسة والتعليق مع الشرح والتفسير ، وقد نعذر الأقدمين منا والمحدثين فى هذا الضرب من التأليف إذ المعول فيه على إبراز النصوص القديمة كما جاءت دون التقول فيها . وهذا مذهب أدبى له دعاته . فللنصوص القديمة حرمة لا ينبغى أن تمس بتقويل

والقصد الذى ينبغى أن يدركه دارسو هذه الدواوين هو الوقوف على صحيح معانيها لتمثل الشعر الجاهلى واهتضامه فى الفكر والإحساس . وحين يقتنع المتأدبون المحدثون أن الرجعة إلى الشعر الجاهلى هى قوام الأدب العربى كله ، وأن صفاء ذلك الشعر ونقاء معانيه هو الشعاع الأول الذى ينبغى أن تستمد منه كل روح فى كل شعر عربى ؛ فقد حملوا رسالة الأدب لا فى العصر الحديث فحسب؛ وإنما فى سائر العصور الأدبية التى توالت على العرب . وإنى لأعد الشعر الجاهلى ضمان لغة العرب فى الشعر ، وناظم روحها الأصيلة مهما تجدد الأدب ، وتطور الشعر

والأستاذ الكبير عبد المتعال الصعيدى إلى إكبابه على التأليف فى الموضوعات الدينية والأدبية التى اتسمت بالدقة والإحكام جدير بالثناء على جهده الذى بذله فى شرح دواوين الشعراء الجاهليين وعنايته بتبسيط المعانى للطلاب خاصة وللقراء عامة

زكى المحاسنى

لرعايا دول الحلفاء من مدارس ومعاهد أعادوا هـذا البناء إلى تصرف المسلمين وجعلوا فيه « الـكلية الصلاحية » التي كان يديرها الأستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش . فلمـا انتهت الحرب العظمى بانكسار الترك واستيلاء الإنكليز على القدس أعطى الإنكليز هذه الدار إلى البعثة الفرنسية وهي الآن مدرسة لتخريج الرهبان الـكاثوليك

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

المعري لا المتنبي

أورد الأستاذ أحمد الشرباصي هذا البيت :

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

منسوبا إلى المتنبي والصواب أنه لأبي العـلاء المعري من قصيدته المشهورة التي مطلعها : — (ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل) ومثل الشرباصي في فضله وعلمه لا يفوته ذلك ولا بد أنه سبق قلم سببه تأثر الأستاذ أثناء رده . وقد انتظرت حتى صدر العدد التالي ٩٩٠ وما بعده لعل الأستاذ يصحح هذا الوهم . فلما لم أجد ما توقعته بكتابة هذا واجبا نشره مع خالص الشكر .

عبد السلام النجار

تصحيح

طالعت في العدد ٩٨٦ من الرسالة مقال الدكتور الكفراوي عن أبي العتاهية فاسترعى انتباهي قوله في آخر المقـال : قال الشاعر مشيرا إلى جواري المهدي

رحن في الوشي وأصبحن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهر له يوما نطوح
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمرت ما عمر نوح

والذي نعرفه أن أبا العتاهية قال هـذه القصيدة وهو في السجن لما آلم لحن الملاحين في دجلة الخليفة الرشيد فأرسل إليه أن يصنع لهم شعرا سهلا يتغنون به فناطه أن يطلب إليه ذلك ولم يأمر بإطلاقه فصنع هذه القصيدة لينغص عليه عيشه ومطلعها

خانك الطرف الطموح أيهـــا القلب الجموح
هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح

فمن هنا نعلم أن القصيدة قيلت في عهد الرشيد لا المهدي كما يقول الدكتور وأن الإشارة إلى جواري الرشيد

محمد ابراهيم الجيوشي

دار العلوم

أشكر الأستاذ الشاعر أحمد العجمي عنايته بشعراء الشباب وأتوقع لها أثرا طيبا وإن كان قد ذكر في العدد «٩٨٧» من الرسالة الغراء أن في الاستطاعة أن يحصي الناقد خمسة عشر شاعرا من دار العلوم أيام أن كانت مدرسة ، أما بعد أن صارت كلية جامعية فلا يستطيع أحد أن يحصي شاعرا أو اثنين ، فيسره أن يعرف أن السبب في ذلك هو أن الفترة التي قضتها دار العلوم وهي مدرسة فترة طويلة جدا كفيلة بأن تنجب فيها ما تشاء من الشعراء ، أما الفترة التي قضتها وهي كلية جامعية فهي فترة وجيزة لا تكفي لإشهار شعراء يعدون ويحصون

على أنني أرى أن هناك أزمة شعرية في هذه الأيام الأخيرة في جميع المعاهد الأدبية ، ومرد ذلك — فيما أعتقد — إلى أن الصحافة وهي المنبر الذي يذيع عليه الشعراء الناشئون أشعارهم أصبحت يضيق صدرها بالشعر والشعراء ولا سيما الناشئين منهم ، فبعض الصحف تنشر القصائد في صفحة الغلاف بشكل يوحي بالإهمال ، والبعض الآخر يفرد لها حيزا محدودا جدا يستوعبه في الغالب من اشتهر من الشعراء ! ربك ماذا يفعل الشعراء الذين يريدون أن يظهروا ؟

أيلجأون إلى طبع أشعارهم في دواوين وهم في الغالب لا يملكون من المال والشهرة ما يساعد على ذلك ؟ !

أم ينطوون على أنفسهم يقولون الشعر لا يسمعه أحد حتى يعلوا هذا الوضع فيطمر ينبوع الشعر في نفوسهم ؟

إننا نرى كل فن من فنون الأدب قد خدم الخدمة اللائقة به ، فالمقالة تمج بها معظم الصحف ، والقصة أفردت لها صحف خاصة ، بقي الشعر والشعراء المساكين

إنى لأذكر بالخير ذلك العهد الذى كانت تقوم فيه مجلة «أبولو» على خدمة الشعر الحي . وأعتقد أنها أفسحت لكثير من الشعراء الناشئين طريقهم حتى برزوا وجلوا فى ميدان الشعر. فهل إلى بعث هذه المجلة أو ما يشبهها من سبيل حتى تتفتح براعم من شعراء الشباب أوشكت أن تموت ؟

محمد على حمزة الشايب

أدب ولغة

١ — كسول : صنيع اللغويين يشعر بأن كسولا من الأوصاف المختصة بالإناث ، قال جار الله فى الأساس — كسل : وامرأة كسلى ، وهي مكسال وكسول ونحوه فى المختار والمصباح والتاج والقاموس واللسان وأكثر المعاجم التى رجعت إليها ، ومن ثم ذهب كثير من الخاصة إلى تخطئة مثل هذا التعبير (تلميذ كسول)

بيد أنى وقعت فى لسان العرب مادة ـ زمل ـ على هذا البيت:

فلا وأبيك ما يغنى غنائى ... من الفتيان زميل كسول

وهذا نص لا يحتمل التأويل ينادى بصحة ما خطأه بعض الباحثين . ولعل من يتتبع كلام العرب يقف على أكثر من شاهد لهذا الاستعمال . ولا يعزبن عن البال أن كتب اللغة لم تلتزم الإحاطة بكل ما نطقت به العرب ، فدون هذا خرط القتاد كما يقولون . على أنه يمكن أن نتلمس عذرا لصنيع اللغويين فى أن النص على — امرأة كسول — من قبيل النص على البعيد المتوهم — لا من قبيل البيان لما يجوز حتى يمنع ما عداه ، وعلى هذا أرى أن لفظة — كسول — مما يوصف بها المذكر والمؤنث على السواء ، وليست مختصة بأحدهما

٢ — كسلان : أما كلمة — كسلان — فقد يتبادر إلى الذهن بادى الرأى أنها عامية أو خاطئة وإن هى إلا فصيحة ، وقد وردت فى تضاعيف قصة أدبية نرويها لقراء الرسالة لطرافتها ولما فيها من جمال وإبداع

روى المبرد أن عمر الوادى سمع عبداً أسود يغنى ، فأعجب به ، وطلب إليه أن يعيد عليه ما سمع ، فقال العبد: والله لو كان عندى قرى أقريك ما فعلت ، ولكنى أجعله قراك ، فإنى ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته — وأنا كسلان — فأنشط ، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ، ثم انبرى يغنى :

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها ... أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما قضت أحدوثة لو تعيدها

تحلل أحقادى إذا ما لقيتها ... وتبقى بلا ذنب على حقودها

وكيف يحب القلب من لا يحبه ... بلى قد تريد النفس من لا يريدها

٣ — نسوان : وقد وردت هذه الكلمة التى تتردد على ألسنة العامة — وقد تنفر الأسماع منها — فى شعر يسحر اللب ويأخذ بمجامع القلوب ، قال كلثوم العتابى :

تلوم على ترك الغنى باهلية ... لوى الدهر عنها كل طرف وتالد

رأت حولها ـ النسوان ـ يرفلن فى الكسا ... مقلدة أجيادها بالقلائد

العقد ج ٣ ص ١٥٩

وقال الحكم بن معمر — عاصر ابن ميادة — :

فوالله ما أدرى أزيدت ملاحة ... وحسنا على النسوان أم ليس لى عقل

فسائم ثوبها ، فى الدرع غادة ... وفى المرط لفاوان ردفاهما عبل

الأغانى ج ٢ ص ٢٨٦

وقال الهمدانى (الأجدع أبو مسروق بن الأجدع الفقيه)

لقد علمت نسوان همدان أننى ... لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجاء وجهى وإننى ... له فى سوى الهيجاء غير بذول

(تهذيب الكامل ج ٢ ص ٩٣)

وقال ابن مقبل :

(١) أصوات نسوان أنباط بمصنعة ... بجدن للنوح واجتبن التبابينا

(الأساس — صنم)

(١) المصنعة ـ المدينة والقرية ـ بجدن ـ لبسن البجد ـ التبابين ـ جمع تبان السراويل الصغيرة

رياض عباس



الخـــــادم

للكاتب العظيم تشيكوف

عاد جيرازيم إلى موسكو حين كان يتعذر الحصول على عمل فيها ، وذلك قبل عيد الميلاد بأيام قلائل . وفى هذه الفـترة كان كل عامل يتمسك بعمله مهما كان حقيراً ، طمعاً فى الحصول على هدية من مخدومه . وهكذا قضى الشاب الفلاح ثلاثة أسـابيع دائباً فى البحث عن مهنة ولـكنه لم يوفق

وكان يعيش مع أقاربه وأصدقائه الذين نزحوا من قريته . ولم يكن فى فقر مدقع ، ولكنه يغتم لرؤية شاب قوى مثله يحيا بغير عمل

وقد عاش جيرازيم فى موسكو منذ حداثته . وعند ما كان طفلا كان يشتغل بغسل الأوانى فى معمل من معامل البيرة ، ثم اشتغل بعد ذلك خادماً فى أحد المنازل . وفى السنتين الأخيرتين كان يعاون أحد التجار ، ولولا أنه دعى إلى قريته لسبب يتعلق بالخدمة العسكرية لبقى حيث كان إلى الآن . والسبب ما لم يقبل جيرازيم جنديا . ولمـا لم يكن معتاداً حيـاة الريف فقد بدت القرية لعينيه فى حلة من الـكآبة ، وصمم على الرجوع إلى موسكو مهما كانت النتائج

وكل دقيقة تمر كانت تزيد ملله من جوب الطرقات فى فراغ وبطالة . ولم يترك جيرازيم أى سبيل للعمل إلا طرقهـا . ولقد ضايق جميع معارفه بالحافه ، وأحياناً كان يتصدى المارة ويسألهم إذا كانوا يعرفون سبيلا إلى عمل خال

ولم يعد يحتمل جـيرازيم أن يكون عالة على النـاس . وقد أصبح وجوده يغيظ بعض مضيفيه . وتعرض بعض الخدم الذين كان ينزل عليهم لتأنيب مخدوميهم إياه بسببه . لقد كان فى حيرة تامة لا يدرى ماذا يفعل . وأحياناً كان يجوب الطرقات النهـار كله دون أن يتناول طعاماً

وفى أحد الأيام ذهب جيرازيم إلى صديق له من أبناء قريته ، يعيش على حدود موسكو . وكان هذا الصديق حوذياً عند رجل يدعى شاروف ، وقد مضى عليه أعوام كثيرة فى خدمة شاروف وقد أفلح فى أن يستحوذ على محبة سـيده فأصبح يأمنه على كل شئ ويبدى له دلائل الرضا . ولعل لسـانه الفتيق هـو الذى كسب له ثقة سيده فقد كان يثنى بكل الخدم ، وكان شـاروف يقدره من أجل ذلك

وتقدم جيرازيم وحياه ؛ واستقبل الحوذى صديقه استقبالا مناسبا وقدم إليه شاياً وبعض الطعام ثم سأله عما يفعله فأجابه :

— فى أسوإ الأحوال يا يجور . إنى أعيش بدون عمل منذ أسابيع

ألم تسأل مخدومك القديم أن يستعيدك إليه ؟

— لقد سألته

— أو لم يقبل ؟

— هناك من حل محلى

آه ... هذا هو السبب . تلك هي خطتكم أيهـا الشبان . تخدمون رؤساءكم حيثما اتفق ، فإذا تركتم مهنتكم تكونون قد سددتم طريق الرجوع إليها بالأوحال . ألا يجب أن تقوموا بواجباتكم بحيث تنالون التقدير الحسن ، فإذا رجعتم إلى مخدوميكم لا يهملونكم — بل يخرجون من حل محلكم ...

— وكيف يكون ذلك ؟ إنك لا تجـد مخدومين على هذه الشاكلة فى هذه الأيام كما أننا لسنا بملائكة !

— وما فائدة الـكلام ؟ ! إنى أريد أن أحدثك عن نفسى : إذا حدث أنى تركت عملى لسبب من الأسباب ورجعت إلى منزلى ، فالسيد شاروف يقبلنى عندما أرجع ويكون سعيداً بقبولى

وجلس جيرازيم محزوناً . لقد لاحظ أن صديقه يباهى بنفسه ورأى أن يسايره فقال :

— إنى أعرف ذلك ولكن من العسير وجود رجل مثلك يا يجور . ولم لو تكن من أجود الخدم ما أبقاك سـيدك فى خدمته اثنى عشر عاما

فابتسم يجور لأنه كان يحب المدح وقال :

— ذلك هو الواقع . لو أنك اتبعت نظامى فى الحياة والعمل ما وجدت نفسك عاطلا شهراً بعد شهر

ونادى شاروف حوذيه فخرج وهو يقول :

— انتظر برهة .. سأرجع حالا

— حسن جدا

عاد يجور وأخبر صديقه أن عليه فى خلال نصف ساعة أن يعد العربة ويسرج الخيل ويستعد لحمل سيده إلى المدينة . واشمل يجور بيبته وأخذ يذرع أرض الغرفة ثم وقف فجأة أمام جيرازيم وقال :

— استمع يابنى، إذا رغبت أن أحدث السيد شاروف عنك فلا بأس

— وهل هو فى حاجة إلى خادم ؟

— لدينا خادم غير كفء تقدم به العمر ومن المتعذر عليه القيام بالخدمة . ومن حسن الحظ أن هذه الضاحية غير مأهولة — كما أن رجال البوليس لايدققون كثيرا ، وإلا لما استطاع الخادم الشيخ أن يحتفظ بالمكان على حالة من النظافة ترضيهم

— آه .. لو أمكنك ، حدثه عنى يايجور — إنى سأدعو لك طول حياتى .. لم أعد أحتمل العيش بدون عمل

— حسن . سأحدثه عنك . تعال غدا . والآن يحسن أن تأخذ هذه الدريهمات

— شكراً يايجور . هل ستحدثه عنى ؟ قم بهذا الجميل من أجلى

— حسن . سأحاول

وانصرف جيرازيم وأعد يجور العربة وارتدى ملابسه الخاصة بمهنته وقاد العربة إلى الباب الرئيسى المنزل حيث ركب شاروف ثم آب إلى منزله . ولاحظ يجور أن سيده على شيء من البشاشة فبدأ حديثه معه

— هل لى أن أسألك معروفاً ؟

— وماذا تطلب ؟

— شاب من قريتى ، شاب طيب . . . ليس لديه عمل

— حسن !

— ألا تلحقه بخدمتك ؟

— وهل أنا فى حاجة إلى خادم ؟

— ألحقه على أن يقوم بأى خدمة تطلب منه

— وماذا يعمل بوليكار ؟

— وما فائدة بوليكار ؟؟ لقد حان أوان فصله

— ليس من العدل فصله . لقد خدمنا سنوات . فلا أستطيع طرده بدون سبب

— ولنفرض أنه اشتغل بخدمتك سنوات ، إنه لم يخدمك بغير أجر . لقد كان يتناول مرتباً ، ومن المؤكد أنه ادخر بعض المال لسنى شيخوخته

— ادخر ؟ كيف كان يمكنه ذلك ، إنه ليس وحيداً فى الدنيا : لديه زوجة يعولها وهذه مضطرة أن تأكل وتشرب أيضا

— إن زوجته تكسب أيضاً . إنها أجيرة باليومية . ولم تعر بوليكار وزوجته اهتماماً ؟ حقا إنه خادم فقير ؛ ولكن لم تبعثر أموالك ؟ إنه لايؤدى عمله كما يجب . وعندما نحين نوبته فى حراسة المنزل يترك مكان الحراسة أكثر من عشر مرات أثناء الليل . لم يعد يحتمل البرد وقد يدركك البوليس بسببه يوماً . قد يهبط المفتش علينا يوماً ، وعندئذ لن يسرك أن تكون مسئولا عن نتائج إهمال بوليكار

— ومع ذلك ففصله قسوة واستهتار . لقد خدمنا خمسة عشر عاما ، وبعد هذه المدة نعامله هذه المعاملة الفظة فى شيخوخته . إنها خطيئة

— خطيئة ؟ هل يصيبه منك ضرر ؟ إنه لن يموت جوعا بل سيذهب إلى ملجأ الفقراء . وهذا أجدى عليه . هناك يقضى شيخوخته فى سلام

وأخذ شاروف يفكر فى المشكلة ثم قال .

— حسن . دع صديقك يحضر غدا . وسأرى ما يمكننى أن أفعل له

— أرجو يامولاى أن تلحقه بخدمتك . كم أنا حزين له ! ياله من شاب خير ! ومع ذلك فهو عاطل منذ أمد طويل . إنه سيؤدى واجبه على أكمل وجه وسيخدمك بإخلاص : لقد ترك عمله الأول بسبب الخدمة العسكرية ولولاذلك ما تركه مخدومه الأول

عاد جيرازيم فى المساء التالى وسأل صديقه :

هل أمكنك أن تقوم بشيء فى سبيلى ؟

— نعم ... على ماأعتقد : دعنا نتناول بعض الشاى أولا ، وبعد ذلك نذهب لمقابلة سيدى

ولم يكن جيرازيم بالراغب فى شرب الشاى : لقد كان متشوقاً إلى معرفة ماقر عليه أمره ولكن مقتضيات الواجب واللياقة نحو صديقة أجبرته أن يشرب قدحين من الشاى ، أخذه بعدها صديقه إلى رب الدار

وسأل شاروف جيرازيم عن مكان مسكنه وعن مخدوميه السابقين ، ثم أخبره بعدذلك باستعداده لقبوله خادماً عاما يؤدى كل مايطلب منه وأن عليه أن يأتى صباح اليوم التالى ليبتدىء عمله . وأذهل جيرازيم هـذا الحظ المفاجئ وكان فرحه عظيما حتى أن قدميه لم تقويا على حمله ، وبعد برهـة رجع جيرازيم إلى غرفة الحوذى

وقال له الحوذى : « حسن يا بنى يجب أن تمنى بأن تؤدى واجبك على الوجه الأكمل حتى لا أضطر يوما إلى الخجل بسببك ، أنت تعرف من هم السادة إذا قصرت مرة تعقبوك دائما بالبحث من أغلاطك ولن يدعوك فى سلام أبدا

— كن مطمئنا يا يجور

وانصرف جيرازيم وعبر فى طريقه فنـاء المنزل ، وكانت غرفة بوليكار تطل على هذا الفناء وكان ينبعث منها نور ضئيل يضئ طريق جيرازيم الذى شعر بالشوق إلى رؤية الغرفة التى ستخصص له ، ولكن زجاج النافذة كان مغطى بالصقيع بحيث يتعذر رؤية أى شئ خلاله . وسمع جيرازيم أصواتا تنبعث من الغرفة فوقف يتسمع . سمع صـوتا نسائيا يقول « ماذا نفعـل الآن ؟ » فأجاب رجل — وكان بوليكار لا شك :

— لست أدرى .. لست أدرى نطوف الشوارع مستجدين ،

— هذا كل ما بقى لنا . وما من حيلة أخرى . بالله لنا ، نحن الفقراء ! أى حياة تعسة نحيـاها ؟ نكد ونكدح من الصبـاح الباكر حتى الليل يوما بعد يوم وعاما بعد عام ، وعندما تتقدم بنا السن نتضور جوعا!

— ماذا نفعل ؟ إن سيدنا ليس من طبقتنا ، ولا جدوى فى الذهاب والتحدث إليه . إنه لا يهتم إلا بمصلحته

— كل السادة على مثل هذه الحالة . إنهم لا يهتمون إلا بأنفسهم ، لا يخطر ببالهم أننـا نعمل بشرف وإخـلاص مدى سنوات ، نفنى زهرة قوانا فى القيـام بخدمتهم ثم يخشـون أن يبقونا عاما آخر ، حتى ولو كانت لدينا القوة للقيام بواجباتهم .

فإذا عجزنا تماماً وجب علينا أن ننصرف من تلقاء أنفسـنا

— إن شـاروف لا يلام بقـدر ما يلام حوذيه الذى يود الحصول على مهنة لصديقه

— نعم ... يا له من ثعبـان ! إنه يعرف كيف يشقشق بلسانه ... وأنت يا يجور أيها الحيوان القذر اللسان ... انتظر ، سأنتقم منك ، إنى سـأذهب إلى السيد وأخبره كيف كان هذا الوغد يغشه وكيف يسرق التبن والعلف . وسأقنع السيد أن هذا الوغد يكذب فى كل ما ينقله عنا

— لا لا : أيتها المرأة لا ترتكبى خطيئة

أية خطيئة ؟ أو ليس حقا ما أقوله ؟ إننى أعرف صـدق ما سأتحدث به وسأفضى بكل شئ للسيد . ولم لا ؟ ماذا نفعل الآن ؟ أين نذهب ؟ لقد حطمنا ، وانفجرت المرأة باكية متأوهة

سمع جيرازيم الحديث كله وكأن خنجرا نفذ فى أوصاله . لقد تحقق أى بلاء كان يجره إلى هذين الشيخين وشعر أن قلبه يتمزق وقف حيث كان زمنا طويلا محزونا غارقاً فى الفـكر ، ثم دار على عقبيه وذهب ثانية إلى غرفة الحوذى الذى سأله عندما رآه

— هل نسيت شيئاً؟

وأجاب جيرازيم متلعثما : لا ... لقد أتيت ... استمع إلى ... أود أن أشكرك كثيراً على حسن استقبالك إياى ، وكل ما عانيته من أجلى .. ولكنى لا أقبل العمل هنا

— ماذا ؟ ماذا تعنى ؟

لا شئ . لا أرغب فى العمل هنا ، سأبحث عن عمل آخر . وانتابت يجور حدة غضب وقال :

— هل تعنى أن تجعلنى مجنونا فى رأى سيدى ؟ هل تعنى ذلك أيها الأبله ؟ لقد أتيت تتضرع فى وداعة وترجو المساعدة . والآن ترفض العمل . أيها الوغد لقد أخزيتنى !

وصعد الدم إلى وجه جيرازيم وخفض عينيه ولـكنه لم ينبس ببنت شفة

وأدار يجور ظهره فى احتقار وكف عن الـكلام وعندئذ التقط جيرازيم قبعته بهدوء وترك غرفة الحوذى وعبر الفنـاء مسرعا ثم اجتاز باب المنزل وابتعد عن الدار مهرولا

وكان يشعر بالسعادة والفرح ...

ع . م

مطبعة الرسالة